رحمة نبيل

قرية الشبح

رواية

في حال أنك لم تتمّ عقدُك الأوّل فلا يُدرِكنّك الغروبُ

فريق العو - المهمة الثانية

مدينة الأدباء للنشر والتوزيع

ساحر الكتب

1 شارع حسن أبو زيد – الزاوية الحمراء - القاهرة

01019978066 - 01117130961

Citybooks20@gmail.com

قرية الشيخ | المهمة الثانية

رواية – رحمة نبيل

رقم الإيداع 17389 / 2023

الترقيم الدولي 2 – 9 – 86859 – 977 – 978

جميع الحقوق محفوظة @

يمنع منعًا باتًا الاقتباس أو إعادة النشر سواء بالطباعة، أو النشر الإلكتروني، أو التصوير الضوئي للمحتوى، أو أي جزء منه إلا بإذن كتابي من الناشر والمؤلف. ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية طبقًا لحقوق الملكية الفكرية المنصوص عليها في القانون.

تصميم: عبد الله أحمد – الإخراج الداخلي: City Books

في حال أنك لم تتم عقدك الأول، فلا يدركنك الغروب.

الإهداء

إهداء لرفيقة الدرب والحياة، لمن كانت أول من حملني في طفولتي وأول من حملني في شدتي، إهداء لأمي الحبيبة

إهداء لرفيقي الاول وصديقي الأوحد، إهداء لأبي

إهداء لمن يحلو معهم الشجار، وتطيب بهم الأوقات، وتكثر معهم السبات، إهداء لأخوتي، البشر الأكثر ازعاجًا في الكون بأسره (إيمان/ سامي / مروان)

إهداء لمن تحلو بهم المصائب، وتزداد معهم الكوارث، رفاق اليوم وكل يوم (غادة / ناريمان)

إهداء للناقد الخاص بي ورفيق كل كلمة كتبتها (فاطمة طه)

واخيرًا اهداء لكل من دعمني يومًا وأسعدني بكلمة، وكان الناقد الأول والأهم في حياتي (القراء الاعزاء)

***

المقدمة

ها أنت مجددًا قد عُدت، أراك تحدق بكلماتي وهناك بسمة ترتسم على فمك، بالطبع تعلم من يتحدث معك، صحيح؟؟ أنا مشهور أليس كذلك؟؟ هل هززت رأسك للتو؟؟

حسنًا دعني اخبرك عن نفسي مجددًا وأُنعش ذاكرتك حول هويتي، أنا هو "أسامة العو" قائد فريق العو والمعروف عالميًا بـ "سرب البط البلدي"، ستتساءل الآن كأي شخص فضولي "وهل أصبح فريقك عالميًا أسامة ؟!"

وستكون اجابتي هي "لا، ولنأمل ألا يعلم العالم بشأننا، فلا قِبل لنا بمواجهة حملات إبادة للفريق بعدما يعلمون ما نفعل".

لكن أنت يا عزيزي تعلم، ولهذا عُدت وقد جهّزت عُدتك، حسنًا دعني اخبرك شيئًا (الحذر والفضول لا يأكلان من صحنٍ واحدٍ) لذا انفض عنك الحذر وتسلح بفضولك، فما أنت على وشك الخوض له يستحق كل ذرة فضول تتحرك داخل اوردتك الآن.

أثرث فضولك؟؟

لا؟؟

أنت شخص صعب ممل لا تتماشى صفاتك مع صفات فريقي الراقي المتفهم، لكن رغم ذلك نقبلك في الفريق فردًا خامسًا؛ والآن دعنا من الحديث وسر معي لنرى ما تخفيه تلك المهمة بين سطورها...

والآن لنردد شعارنا الجميل "مرحبًا بك في فريق العو، حيث لا مكان للأذكياء ولا مجال للتفكير"

والآن انظر امامك سترى لافتة تشير لمدخل مهمتك، لافتة خُطت عليها بأحرف مهترئة كاد الزمن يمحيها بالكامل.

"قرية الشيخ"

تنويه

جميع الأحداث في هذه الرواية، وجميع الأسماء والأماكن، هي من وحي خيال المؤلف، ولا علاقة لها بالواقع، حتى وإن تشابهت بعض الأسماء، فكلها في النهاية من وحي الخيال، وهذا العالم الذي أنت على وشك العيش به، هو عالم موازي، خُلق في رأسي يومًا، وها أنتم على وشك الدخول إليه، إلى عالمٍ جديد...

"حيث لا مكان للأذكياء، ولا مجال للتفكير"

الفصل الأول

بدأت الشمس تتلاشى من السماء مُخلفة ورائها ظلام بدأ يملئ المكان شيئًا فشيء، وجميع الفلاحين في تلك القرية بدأوا يسارعون لمنازلهم؛ رغبة في إسكات أصوات الجوع بعد يومٍ شاق في الأراضي الزراعية.

اللون الاحمر الذي يُصاحب الغروب بدأ يتحول لسوادٍ قاتمٍ لا يبدده إلا القليل فقط من مصابيح الإنارة على بعض الأعمدة التي تنتشر على مناطق متفرقة من الشوارع الرئيسية للقرية.

وفي أحد منازل الشوارع الجانبية المدفونة بين الأراضي الزراعية، كانت تقف سيدة نحيفة الجسد غائرة الوجنتين، بأعين ذابلة ووجه مرهق على باب المنزل بقلبٍ وجلٍ وقد تأخر صغيريها في العودة من اللعب..

تأففت وقد قررت أن تدخل لتحضر ذلك الخمار الطويل وترتديه أعلى حجابها، للبحث عنهما بنفسها، لكن رؤيتها لجسد أحد الصغار يركض صوبها أوقفها وهي تقول بغضب حل محل قلقها:

- كنت فين يا مقصوف الرقبة أنت، مش قولت تكونوا في البيت قبل ما الليل يليل؟؟

توقفت عن الصراخ وهي تنظر في المكان حولها باحثة عن صغيرها الآخر الذي يبلغ من العمر عشرة أعوام قائلة بقلب ينبض رعبًا:

- أمال فين اخوك يا زفت أنت؟؟ مش قولتلك متسيبوش من

ايدك؟؟

ارتجف الصبي ذو الخمسة عشر عامًا وصوته خرج مرتعبًا:

- هو هو مجدي مرجعش؟؟ ده قالي إنه مروح من ساعة وانا قولتله هحصله.

ضربت السيدة صدرها في حركة مفزوعة وقد بلغ الخوف منها مبلغه تصرخ وتولول برعب:

- وأنت سيبته يرجع لوحده؟؟ أنت يعني مش عارف اللي بيحصل في البلد؟!

وقبل أن يجيب الصبي بشفاه مرتجفة، دفعته والدته جانبًا، تخطو خارج المنزل برعب تتمتم بكلمات غير مفهومة وتنادي بصوت مكلوم:

- مجدي ... مجدي، أنت فين يابني؟؟

كانت جميع الطرقات فارغة إلا من بعض الأهالي الذين قرروا الجلوس أمام المنازل في الهواء الطلق، وهي تدور بحسرة بينهم تنادي صغيرها باكية حتى شعرت أن الوقت تأخر ولعبت الظنون برأسها وهي تهرول صوت منزل كبير القرية..

تركض بين الطرقات والجميع ينظر لها بتساؤل، وحينما يسمعون نحيبها باسم طفلها يضربون الاكفة مشفقين وتتعالى الهمسات بينهم باسم غريب؛ اسم تردد على جميع الألسنة والكل أجمع أن الأمر متعلق بها، (الفزاعة).

اقتحمت السيدة اراضي العمدة ليوقفها كبير الخفر الذي اعترض طريقها يمنعها الدخول:

- إيه حيلك حيلك، رايحة فين يا ست أنتِ؟!

بكت السيدة تترجاه متوسلة السماح لها بالعبور:

- الله يكرمك عديني، عايزة اشوف العمدة، ابني خرج مرجعش، قوله بس يساعدني بسرعة قبل ما الدنيا تضلم اكتر.

نظر لها الرجل بحنق وما كاد يصرخ في وجهها مبعدًا إياها عن البوابة، حتى ارتفع صوت رجل خلفهم:

- فيه ايه يا جابر ايه الدوشة اللي عندك دي؟!

وقبل أن ينطق جابر بجملة تزيح فضول العمدة، سارعت تلك السيدة ترتمي على درجات المنزل الرخامية ترتجي منه مساعدة، تبكي قلة حيلتها بعد رحيل رب أسرتها تاركًا إياها تتولى رعاية صغارها وحدها..

- الحقني يا عمدة ابني لسه مرجعش لغاية دلوقتي، أخدوا ابني، اخدوه مني.

***

خطوات مدروسة داخل ممرات المنظمة، الآن وقد أثبت نفسه وأثبت أن فريقه يستحق أن يكون واحدًا من الفرق المرموقة، نعم فخور بتلك المهمة التي أنجزها وفي أيام معدودة، وسيظل فخورًا بها ويتحدث عنها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أبعد " أسامة" نظارته السوداء عن عيونه البنية، يرسم ابتسامة جانبية، متجاهلًا جميع الأعين التي تتربص سقوطه المعتاد في نفس المكان.

وهو ما كان ليمنحهم هذا الانتصار مرة ثانية، بل ثالثة، أم كانت المرة العشرين؟؟ لا يهم كل هذا، الأهم الآن أنه لن يمنحهم لذة رؤيته يعانق الأرض، لذلك تحفزت جميع خلايا جسده وهو يقترب من تلك البقعة المنشودة، يراقبها بنظرات ثاقبة كعدوٍ لدود، ثانية والأخرى حتى قفز من فوقها أسامة مبتسمًا بانتصار، يرتدي نظارته مرة أخرى، وهو يستدير بنصف جسده للخلف حتى ينظر للجميع بتشفي، لكن ما كاد يفعل حتى شعر بأحد ابواب المكاتب الجانبية يرتطم بوجهه في قوة كبيرة، محطمًا كل خططه طوال ليلة أمس لتجنب اهتزاز صورته أمام الجميع.

ومن بين الضحكات العالية خلع النظارة الخاصة به وهو يصيح في حنق كبير:

- إيه بتضحكوا على ايه؟؟ هو أنتم كل يوم واقفين كده مش وراكم شغلة غير دخلة أسامة؟؟ خلاص بقيت فرجة المركز كله؟؟

ولم يجبه سوى اصوات الضحكات المرتفعة في المكان حوله، لكنه لم يكن في المزاج المناسب للجدال معهم، حدق بالنظارة التي نجت من الأمر:

- شوية ناس فاضية، مش وراكم غير الضحك، في الوقت اللي أنتم بتضحكوا فيه، كنت أنا بحقق المستحيل، ولسه ...

وبتلك الكلمات أنهى أسامة خطبته الموبخة لهم يتحرك صوب مكتب مديره لاستلام ملف القضية الجديدة كما أخبره البارحة، الادرينالين يندفع بين أوردته وكله حماس لمعرفة اللغز الجديد.

طرق الباب ينتظر أذنًا، وحينما حصل عليه، خطى للمكتب يردد ببسمة بشوشة عكس عادته الحانقة الغاضبة:

- صباح الخير يا فندم.

ابتسم له القائد وهو يخرج أحد الملفات يلقي بها على المكتب أمامه بنبرة حماسية:

- صباح النور يا أسامة، جاهز للمهمة التانية؟!

لوح أسامة بالنظارة الخاصة به في الهواء يتحدث بحماس مبالغ به، وكأنه كشف اسرار الكون كله أو حلّ غموض الحياة بأسرها:

- شوف بعونك يارب المهمة دي مش هتاخد مننا يوم يا فندم، بالك المهمة اللي فاتت لو كنت عاملها بمزاج أنا وفريقي كانت خلصت في غمضة عين، بس حظهم أننا كنا رايحين مطبقين.

ارتفع حاجبي القائد ساخرًا من ثقة أسامة التي يتحدث به، وكأنه يمتلك فريقًا ذوي عقول فذة وذكاء حاد، هو حتى الآن لا يصدق أنهم نجوا من تلك المهمة احياء، بل وضربوا بكل توقعاته عرض الحائط وفكّوا غموضها، لكن إن كانت المهمة السابقة حُلت بضربة حظ، فهذه لن تكون كذلك.

- حلو الثقة بتاعتك يا اسامة، لكن المرة دي الموضوع مش مدرسة، الموضوع أوسع شوية.

ضيق أسامة عيونه وقال بترقب:

- ايه جامعة؟؟

- لا قرية..

التوى ثغر أسامة مفكرًا:

- قرية؟؟

عاد القائد بظهره للخلف وهو يضم كفيه مبتسمًا بهدوء شديد:

- أيوة يا اسامة قرية، مهتمك الجاية في قرية الشيخ ...

***

كعادتهم تجمعوا برسالة واحدة من اسامة، حسنًا، بل بأمرٍ صارمٍ منه، فهو يعلم أنه إن تهاون معهم فلن يلقى سوى إهمال وتراخي وتجاهل.

مالت هند بجسدها على عفاف، تحاول فهم ما تردده منذ الصباح:

- يعني ايه يا عفاف؟؟ مش هتعملوا فرح؟!

تركت عفاف قطعة التفاح التي كانت تقضمها في محاولة لإخراج كامل غيظها فيها، فأسامة العزيز منذ تقدم لخطبتها وهو يتهرب من تحديد موعد زفافهما:

- فرح ايه يا هند؟؟ بقولك جالي امبارح عشان يتخانق معايا ويروح ينام قرير العين.

- ويتخانق معاكِ ليه إن شاء الله؟؟ هو أي فرد عضلات وخلاص؟؟

هزت عفاف رأسها توافق حديث هند، وقد سأمت من تصرفات أسامة الغريبة في الآونة الأخيرة، كلما رآها تتنفس اعترض على تصرفها، لكنها تخشى أن تخبر هند بذلك لئلا ينتهي الجدال بقتل أحدهم، خاصة وأنها هي المخطئة في جميع المشاكل بينها وبين أسامة.

- هو كان متعصب عشان عرف أنى قعدت في استراحة الغدا مع فاروق اللي في الفريق التاني، ومنين تقعدي معاه وبتاع ايه؟؟

صمتت قليلًا ثم استفسرت بأملٍ غبي:

- تفتكري يكون بيغير عليا يا هند؟؟

تشنجت ملامح هند ولم تجبها، بل سحبت منها قطعة التفاحة تقضمها بغيظٍ نافس غيظها:

- يا طوله باله عليكِ، أنا مبقتش عارفة الاقي حجج ادافع فيها عنك، هتخليني ارفع شعار (المرأة للمرأة ما عدا عفاف)

صاحت عفاف بتذمر شديد من طريقة حديث هند معها:

- أنا عملت ايه دلوقتي؟! هيبقى أنتِ واسامة عليا؟؟

صمتت، ثم نظرت لجلال الذي كان مندمجًا كعادته في حديث طويل لا ينتهي عبر اسلاك هاتفه، ولا تدري حقًا من أين له بتلك الأموال الكثيرة لشحن هاتفه.

- جلال..

نظر جلال بطرف عينيه صوب عفاف، يرفع أنفه بتكبر غريب لا

تجد له عفاف سببًا، لكنها رغم ذلك جذبت كُم ثيابه:

- جلال.

انتزع جلال ثيابه من بين أناملها بتأفف:

- استني يا عفاف مش فاضيلك، عندي مكالمة مهمة.

وسريعًا أتاه الرد من عفاف على هيئة ضربة قوية على كتفه:

- مكالمة مهمة مين يا جلال أنت صدقت نفسك؟؟ ياض أنت محدش بيعبرك غير شركة الاتصالات، اقفل التليفون عايزاك.

اغلق جلال الهاتف بحنق شديد وهو ينظر لها بترقب لتسارع هي بطرح طلبها على مسامعه، تلعن الزمن الذي دار بها حتى اوقعها تحت رحمة جلال لتطلب منه مساعدة:

- بقولك ايه يا جلال متعرفش أسامة مـ

قاطع جملتها صوت فتح الباب، ومن ثم دخول أسامة الذي قابلهم ببسمة واسعة فخورة لاتباعهم أوامره بحذافيرها دون أن يحيدوا عنها..

- متعرفوش قد ايه انا فخور بيكم وأنا شايفكم قاعدين كده عادي من غير خناق ولا حوارات.

أشارت له عفاف بأصبعها:

• ما هو أنت لو كنت استنيت دقيقة كنت هتيجي تلاقي الخناق والحوارات.

نظر لها أسامة بملامح مقتضبة، لتزفر هي وقد ضاقت به ذرعًا، ملت غضبه وسئمت نظراته:

- ما كفايك قمص بقي، مكانتش كوباية مانجة اللي شربتها منه، هتطفحهالي يا اسامة.

رفع أسامة رأسه يتجاهل جميع مشاكله الشخصية التي تتحدث عنها عفاف، مزيحًا أموره جانبًا واضعًا مكانها عمله وهو يلقي بالملف أعلى الطاولة واضعًا يديه في جيب بنطاله ببسمة واسعة:

- المهمة التانية وصلت يا جماعة، والمرة دي اهم من اللي فاتت، حد يعرف ليه؟؟

وصمت عم المكان حتى كاد صوت صرصور الحقل يرنّ في أذن أسامة مصحوبًا بنقيق الضفدع، ولا أحد يجيب بكلمة، وحينما طال الصمت قرر جلال أن يُجرب حظه ويرفع يده كتلميذ في المدرسة:

- أنا ممكن أجرب اجاوب، ممكن تكون أهم عشان هيدونا علاوات وفلوس اكتر؟!

ابتسمت جميع الوجوه ونظروا بلهفة لأسامة في انتظار تأكيد منه، لكنه خيّب آمالهم وقال بجدية ومنطقية:

- لا طبعا مفيش الكلام ده، المرة دي أهم من المرة اللي فاتت عشان نثبت للكل أن اللي حصل اخر مرة مكانش بالحظ أو صدفة.

- أيوة بس هو كان بالصدفة فعلا.

نظر أسامة صوب هند وقال محذرًا:

- بس محدش يعرف كده.

هزت رأسها تشير له بإبهامها، ومن ثم استمعت له باهتمام كما الجميع، يتلو عليهم شروط المهمة وما يجب فعله:

- المرة دي المهمة غير كل مرة، المرة دي هنروح قرية في جنوب الجيزة، القرية دي من فترة تقريبا شهور وفيها حالات اختفاء غريبة.

تحدثت عفاف بتساؤل تقاطع حديثه:

- طب ما ممكن تكون خطف، ليه بتقول عليها غريبة؟!

هز أسامة رأسه يتوسط مقعده وينظر للأعين حوله بجدية يخبرهم بما رآه في الملف الذي درسه سريعًا في طريقه:

- ممكن ده مش مستبعد خالص، لكن كلمة غريبة هنا كنت اقصد بيها أن الحالات اللي بتختفي الرابط بينهم هو اللي غريب، يعني الخطف مش بيكون عشوائي ابدًا، لا ده كأن شخص مخطط كويس اوي للموضوع، زي الجرايم المتسلسلة كده.

وكلمات أسامة زادت من اشتعال حطب الفضول في رؤوس الجميع، الكل ينظر له باهتمام في انتظار المعلومات التالية لحديثه، ولم يتأخر عليهم أسامة وهو يقول بتفكير:

- كل الحالات اللي اختفت تحت سن عشر سنين، مفيش ولا واحد من اللي مخطوفين اكتر من عشر سنين.

نظرت عفاف لهند قبل أن تقول:

- كام واحد اختفى؟؟

- حتى اللحظة اللي بنتكلم فيها دي اختفى ٧ اطفال منهم ٣ عشر سنين والباقي تحت عشر سنين.

قال جلال بتفكير في حديث أسامة:

- طب احنا المفروض نخاف من الموضوع؟؟ اقصد يعني مفيش خطر علينا؟؟

حدق الثلاثة بجلال في حنق شديد وغضب ليبرر الاخير حديثه:

- ايه بتبصوا كده ليه؟؟ آخر مرة كانوا هيضحوا بينا زي الخرفان ليلة العيد، مش لازم اطمن على نفسي؟؟ أنا لو مرجعتش سليم هيبقى فيها انتحار جماعي.

استفز جلال هدوء عفاف المؤقت بسبب غضب أسامة منها وهي تسخر من ذلك الاحمق الذي يظن نفسه معشوق الجماهير، كأنها وأخيرًا وجدت متنفسًا لحنقها وغضبها من أسامة داخل جلال المسكين الذي لا يمر ثانية إلا ويناله من لسانها ما لا يرضيه:

- اياكش تكون مصدق نفسك يا جلال أنك مقطع السمكة وديلها، ده انت آخر ست اتكلمت معاها كانت أم ضحى بتاعة الخضار اللي قدام بيتك، فوق كده وانزل على أرض الواقع معانا، بعدين بيقولك اطفال تحت سن العشر سنين، الحلو بقي ماله بيهم؟! لسه بتسنن؟؟

لوح جلال بيده معترضًا على حديثها، لا يرغب بخوض مهمة يعود بها بلا أحد اعضائه أو الأسوأ لا يعود بالمرة:

- ما آخر مرة كانت بنات بس وكنت هروح في الرجلين برضو.

قاطع ذلك الجدال أسامة الذي ملّ شجاراتهم، وكأنهم ينتظرون منه كلمة ليجمعوا حطب غضبهم سريعًا مشعلين الأجواء من حولهم:

- بس أنت وهي خلينا في المهمة وبعدين ابقوا اتخانقوا براحتكم.

عم الصمت مجددًا ليتنهد هو براحة ويبدأ اخبارهم بما ستكون عليه الأمور:

- طبعًا وعشان نضمن أن المتسبب في الحالات دي ميشكش في أي حاجة، فاحنا هنروح متنكرين كالعادة.

صمت الجميع باهتمام في انتظار توزيع الأدوار وعفاف تتلو الدعوات ألا يكون حظها هذه المرة كما سابقتها، لا تريد أن تكون مربية اطفال أو خادمة، لو تركت لهم حرية الاختيار سيصل بها الأمر يومًا لتصبح جارية، ليمنحها أسامة ما تريد وهو يقول:

- هنروح على هيئة قافلة طبية خاصة بالتطعيمات ضد شلل الاطفال، وده هيسهل لينا احتكاك أكبر بالأطفال وأهلهم.

واخيرًا خرجت هند عن صمتها:

- أيوة يا عو بس احنا ايه علاقتنا بالطب؟؟ احنا مش بنفهم حاجة في الموضوع.

حرّك أسامة كتفه بهدوء شديد مجيبًا في بساطة متناهية وهو يشير عليهم:

- وهو أنتم كان ليكم علاقة بالتحقيق أو بتفهموا فيه؟؟ واهي الدنيا ماشية وربك ساترها معانا لأجل النية الطيبة مش اكتر.

هزت هند رأسها وقد اقتنعت بما يقول، لولا حديث جلال الذي ما جاء لهذا الفريق سوى ليعترض على كل كلمة:

- أيوة يا اسامة بس احنا هنديهم حقن!؟ أصل انا مش بعرف ممكن نخليها برشام؟؟

- يؤسفني أقولك يا جلال أنها المفروض تكون حقن، فاللي ملوش في الحقن هيعمل نفسه رايح يجهز الأدوية وياخد بيانات الاطفال وهكذا، مين فيكم مش بيعرف يدي حقن؟؟

وبمجرد الانتهاء من جملته رفع الثلاثة أيديهم في الهواء في علامة أنهم جميعًا لا يفقهون شيئًا عن الإبر الطبية، ابتسم أسامة بسمة مصدومة مما يرى، قبل أن يرفع هو الآخر يده ويقول:

- ولا أنا بعرف ادي حقن ...على خيرة الله يا شباب.

***

بداية يومٍ من المفترض أنه ربيعي ممتع تتراقص به الطيور أعلى الأشجار، وتتفتح به الزهور ناشرة رحيقها في الأجواء، ونسمات الهواء الباردة تنعش النفوس، لكن ومتى كان الربيع في مصر بمثل تلك الصورة النمطية المعروفة في العالم أجمع، الربيع هنا يعني أتربة وعواصف واختناق حتى الموت لأصحاب مشاكل الأنف.

وفي وسط ذلك الغبار شقت إحدى السيارات الحمراء الصغيرة طريقها صوب وجهة محددة، تسير على طرق غير ممهدة لسير انسان حتى، فما بالكم بتلك السيارة المسكينة التي تكاد تلامس الأرض؟!

في الأمام يجلس أسامة خلف المقود وجواره جلال، أما عن الخلف فقد قررت عفاف أن تعلن غضبًا مقابلًا لغضب أسامة وترفع رايات العصيان، وتجلس جوار هند التي كانت تتأفف من ذلك الجو القاتم الحار، والأتربة التي كادت تحطم نوافذ السيارة وتقتحم مراكز الشم لديهم مانعة إياهم من التنفس.

- فاضل قد ايه يا عو خلاص مش قادرة اتنفس.

كانت تلك صيحات مستنكرة خرجت من هند في الخلف، ليصلها صوت أسامة الذي يقود منذ ساعة ونص تقريبًا:

- خلاص اعتقد قربنا.

تذمرت عفاف وهي تحاول البحث عن سبب لتتشاجر معه:

- قولتلك ناخد عربية بابا أحسن من مخلفات الحرب اللي احنا راكبينها دي، كان لازمتها ايه البهدلة يا عو؟؟

رمقها اسامة عبر المرآة الأمامية باستنكار شديد، ثم هتف موضحًا مقصده من إحضار تلك السيارة تحديدًا:

- وهو من امتى الدكاترة اللي بيروحوا القرى بيدخلوا عليهم بجيب أحدث موديل يا مدام عفاف؟؟ ده احنا لو عايزين نوصلهم أننا تجار مخدرات مش هندخل عليهم بعربية زي عربية ابوكِ.

صمتت عفاف تدرك صدق مقولته، ولم يقطع الصمت الذي ساد عقب جملة أسامة سوى اصوات الشخير الصادرة من جلال، والذي ضرب بكل الظروف البيئية حوله عرض الحائط ونام نومة هنيئة لا يفسدها سوى تأففات هند، واعتراضات عفاف.

واخيرًا توقفت السيارة على مشارف البلدة، يحدق أسامة في لوحة معدنية يكاد الصدأ يطمس نصف حروفها وقد خُطّ عليها (قرية الشيخ).

ابتسم أسامة يتحرك بالسيارة يعبر تلك اللافتة وهو يهتف بحماس شديد:

- اصحوا يا شباب وصلنا خلاص الـ ...

ولم يكمل كلمته بسبب توقف السيارة فجأة بعنف شديد كما لو أنها اصطدمت بشيء قوي، فتح أسامة عيونه وهو ينظر للجميع يطمأن أنهم بخير.

هبط من السيارة وتبعته كلٌ من عفاف وهند، بينما حتى ذلك الحادث الصغير فشل فشلًا ذريعًا في إنهاء تلك الغيبوبة التي سقط بها جلال وظل نائمًا كما هو.

نظر أسامة بتعجب لتلك الاخشاب الضخمة المتناثرة على بداية طريق القرية، استدار حوله يحاول تبين أى شيء مريب عدا تلك الأخشاب التي أوحت له بجو مخيف ذكره بأمر " المطاريد" قديمًا، وجواره هند التي كانت تحاول فهم سبب وجود مثل تلك الاخشاب وبهذا الشكل الذي ظهر مقصودًا.

وعفاف التي لم تشاركهم الصمت أو التفكير سارعت لرمي الاحتمال الذي يدور بعقلها:

- معقول ده يكون فخ من قطاع الطرق عشان يوقفونا؟؟

نظر لها أسامة مفكرًا فيما تقول، لا يستبعده البتة، فهو أصبح يرى العجب والعُجاب في تلك المهمات.

- ايًا كان السبب ساعدوني نشيلهم من هنا، خلينا نكمل طريقنا بدون عطلة.

وسريعًا انحنى يمسك بالقطعة الخشبية وهو يصرخ باسم جلال:

- جلال، اصحى يا زفت تعالى ساعدني اشيل الخشب ده.

لكن جلال في السيارة يتقلب بين أحلامه السعيدة، حيث يجلس أعلى مقعد عالي يراقب من علياه فتيات عدة يهتفون باسمه هائمات عاشقات لذلك الموهوم، رفع ذراعه ليلوح لهم، لكن فجأة شعر أن يده اصطدمت في شيء كالشعر.

نظر حوله ببلاهة قبل أن يستيقظ بفزع على صوت رجولي اجش جواره:

- جرا ايه يا جدع أنت ما تشيل ايدك من على شنبي بدل والله اقطعهالك.

انتفض جلال صارخًا وهو يتراجع سريعًا صوب مقعد السائق، وقد جذب صوت صرخاته الجميع ليلتفوا حول السيارة وحول ذلك الرجل المريب الذي يحمل فوق ظهره سلاحًا متشحًا بعباءة سمراء اللون لكن باهتة المظهر، وفوق وجهه ملامح إجرام واضحة.

اقترب منه أسامة بهدوء متسائلًا:

- أنت مين يا اخ أنت؟!

- أنتم اللي مين وبتعملوا ايه في البلد هنا؟؟

نظر الجميع لبعضهم البعض بعدم فهم، حتى تحدثت عفاف بحنق:

- مش فاهمة فيها ايه يعني لما نيجي البلد بتاعتكم؟؟ أنتم عاملين حصار ولا ايه؟؟

تحركت عيون الرجل ببطء من وجوه الرجال، حتى استقرت على عفاف التي أخفت جسدها ببطء خلف أسامة وهي تهمس بصوت خافت:

- أسامة الحق ده بيبصلي..

نظر لها أسامة بغيظ:

- تفضلي تغلطي واول ما تعملي حاجة تستخبي في أسامة.

زفر، ثم نظر لذلك الرجل بغضب مكتوم لنظراته صوب عفاف التي أصبح جسدها متواريًا بالكامل خلفه:

- بصلي هنا لو سمحت يا ريس، احنا كنا جايين من المشفى العام وعاملين حملة تطعيمات للقرى كلها، والمفروض أخدنا أوامر نبدأ من القرية هنا...

حدجه الرجل بنظرات مريبة جعلت جلال هو الآخر يتحرك ليختبأ خلف أسامة ممسكًا بذراعه جيدًا هامسًا:

- بلاش تعصبه بكلامك يا اسامة لأحسن شكله بياخد على خاطره بسرعة، بص بيبصلنا ازاي؟؟

ولم يبق أمام الرجل سوى أسامة، وهند التي منعتها مبادئها أن

تختبئ من رجل أو تتوارى منه خيفة خلف رجل آخر، فهي لم ولن تفعلها ما دامت حية؛ لذلك رفعت رأسها لأعلى بتكبر واضح، لكن فجأة انتفض جسدها واختض بقوة حينما أطلق الرجل صيحة مرتفعة تسببت في اختلال هند وتحركها بعيدًا صوب ظهر أسامة.

والرجل يتحدث بعفوية شديدة:

- أيوة أيوة فهمتكم، بس أنتم لازم عشان تعملوا الكلام اللي بتقولوه ده تاخدوا رأي الشيخ.

أخرج جلال رأسه من خلف ظهر أسامة يحرك رموشه الكثيفة التي تعلو أعين سوداء جميلة مخرجًا صوته بحنق:

- ليه ناخد رأي الشيخ؟؟ الموضوع مش حرام على فكرة ومش محتاجة فتوى عشان يحصل، أنا فاكر وانا صغير كنت باخد تطعيمات عادي.

استدار له أسامة يهمس بلا صوت:

- اسكت، اسكت خالص.

رمقه جلال بغيظ شديد، لكنه فقط صمت ممنيًا نفسه بترقية سريعة تجعله يدهس أسامة أسفل أقدامه ويهينه في كل شاردة وواردة.

واسامة أبصر كل تلك الأحلام - التي تمثلت في بسمة بلهاء على وجهه - واضحة وضوح الشمس:

- بطل احلام يقظة شوية يا جلال.

قاطع نية جلال بالتحدث صوت الرجل الذي أخذ يحرك أنظاره عليهم جميعًا:

- لا الشيخ ده هو كبير البلد، بنقوله شيخ.

ابتسمت عفاف تردد بصوت منخفض مرتعش قليلًا:

- اه عشان كده اسمها قرية الشيخ؟!

ولم يصل تحليلها لذلك الرجل الذي أشار للسيارة بتحذير:

- العربية دي تفضل هنا لأن مش هينفع تدخل القرية، هاتوا اللي تحتاجوه منها وحصلوني.

ورغم الحيرة التي ملئت أفئدة الجميع، إلا أن أحدهم لم يعلق على شيء، وحملوا معهم صندوق من المفترض أنه خاص بالتطعيمات، وحقيبة خاصة بأدوات عفاف، وأدوات جلال الخاصة.

تحركوا خلف ذلك الرجل المريب بخطوات بطيئة لأجل مقاومة الانزلاق على الأرضية الرطبة اسفلهم، والأمر محير إذ أن تلك الأيام من الربيع لا تشهد أمطارًا في العادة.

لكن الأمر لم يكن محط اهتمام الأربعة بقدر ذلك المبنى الشاهق الضخم الذي يتوسط اراضي زراعية كثيرة، مبنى قد تحسبه اثريًا من النظرة الأولى.

وللإجابة على تلك التساؤلات التي علت ملامحهم قال الرجل معرفًا إياهم:

- ده بيت شيخ القرية...

خطى الجميع صوب الداخل، حيث العديد من النباتات تحد المنزل، وأثناء طريقهم لمحوا على الطرف الآخر من الطريق عدة منازل صغيرة مرتصه يقف أمامها رجال كثر بأسلحة بيضاء كمن يستعد لحربٍ شرسة.

الأمر يزداد تعقدًا والأمور لم تكن هينة كما تخيلوا، أين ذلك الدوّار الصغير البسيط الذي رسموه في عقولهم؟؟ ما علاقته بهذا المكان المهيب؟!

اقترب جلال من أسامة هامسًا قريبة:

- هو احنا ليه مش بناخد مهمات في مكان فرايحي؟؟ ليه كل مرة نكون في حتة زي كده اول ما تشوفها قلبك ينقبض.

ابتسم أسامة ساخرًا:

- عشان الجرايم بتحب الإثارة والتشويق يا جلال.

وبمجرد أن دخل الأربعة للمنزل ارتفع صوت رجولي جعل الجميع يستديرون لمرشدهم ظنًا أنه هو المتحدث، لكن الصوت لم يخرج منه، بل من رجلٍ آخر يضاهيه طولًا سدّ عليهم طريقهم:

- خير يا جعفر مين دول وجايبهم بيت الشيخ ليه؟!

اجابه المدعو جعفر بهدوء:

- دول جايين من مستشفى في مصر يا جابر عشان التطعيمات..

حدق المدعو جابر بالجميع جيدًا، وقد تراجعت عفاف للخلف تضم حقيبتها لصدرها استعدادًا للهرب إن لزم الأمر، وهند رفعت حاجبها

لا تعجبها تلك النظرات التي يحاول بها ذلك الغبي فرض سيطرته من خلالها، وجلال العزيز كالعادة أدلى بما لاحظه وهو يهمس لأسامة:

- هو ده المجرم يا اسامة، اقبض عليه.

نظر له أسامة باستنكار فأردف جلال موضحًا:

- اسمع مني، أصل لو ده مش المجرم، امال المجرم عامل ازاي؟؟

قاطع جابر ذلك الحوار الجانبي وهو ينظر لهم بتدقيق، ثم قال بهدوء:

- أيوة اتبلغنا بأنهم جايين، بس المفروض الكلام ده كان يبقى بكرة.

ابتسم أسامة سعيدًا بنجاح خطوته الأولى والتي تكمن في إرسال اشعار مفبرك منه ليخبرهم بقدومهم، لكن وبسبب خطأ الاحمق جلال والذي لم يُحسن تقدير الوقت كتب تاريخ الغد وليس اليوم.

- أيوة فعلا المفروض ميعادنا كان يبقى بكرة، بس حبينا نخلص لأن فيه قرى تانية كتير وكمان الجرعات وصلت بدري وهي ليها تاريخ صلاحية معين.

ابتسمت عفاف بفخر شديد برده، وودت لو تصفق له وتحييه على ثباته الكبير.

ويبدو أن أسامة لم يقنع فقط عفاف، بل اقنع كبير الخفر نفسه، والذي أشار لهم صوب إحدى الغرف يقول بهدوء:

- تمام اتفضلوا الشيخ عنده جلسة، وهيمر على البلد وهيكون

معاكم.

تحرك الاربعة صوب إحدى الغرف التي كانت تمتلئ بأرآئك القديمة وصوت هند خرج حانقًا متهكمًا:

- النبرة اللي بيتكلم بيها مش عجباني.

نظر لها أسامة ساخرًا:

- أنتِ مفيش نبرة راجل بتعجبك يا هند.

حدقت هند بجلال الذي بدأ يدور في المكان بحثًا عن شبكة لهاتفه:

- لا ساعات بتعجبني نبرة جلال لما يعيط من الخوف.

تحركت أعين أسامة صوب أصغرهم سنًا والذي كان نفسه جلال، حيث إن أسامة هو أكبرهم عمرًا، يليه عفاف، ومن ثم هند، واخيرًا جلال الذي يصغر هند بعامين، لكنه رغم ذلك يستمر بالإنكار.

أشار لهم أسامة بالتجمع ليخبرهم ما يريد قبل أن يأتي أحدهم، وقد وجدها فرصة جيدة لتقسيم الأدوار المبدئية، وكان ذلك بالطبع بعد تأكده من خلو الغرفة من أي كاميرات مراقبة..

- بشكل مبدأي كده هنحط جابر تحت المراقبة، وكمان العمدة، وأي شخص يظهر قدامنا نشك فيه هنحط تحت المراقبة، باختصار مش عايز نهمل حد ولا نستبعد حد.

صمت يرى ملامح الجميع المفكرة في حديثه، ثم استطرد يكمل:

- اهم شيء أول ما نبدأ الشغل عايزين نستغل أننا هنحتك

بالأطفال وأهاليهم ونحاول نعرف كل شيء عن حوادث الخطف.

نظر لجلال الذي كان يتأفف محركًا هاتفه في الجو:

- جلال أنت معايا صح؟!

زفر جلال بصوت مرتفع يجيبه دون تحكم في لسانه:

- خلاص يا عو عرفت أننا لازم نراقبهم كلهم..

اتسعت عين أسامة وهو يستدير للمكان بسرعة حوله يطمئن أن أحدًا لم يسمع كلمة منه، ثم انقض يلكمه بغيظ مسقطًا إياه ارضًا:

- أنت ياض غبي؟؟ ما تروح تناديهم يقعدوا معانا أحسن، يا غبي يا متخلف.

زفر ثم نظر للجميع محذرًا:

- اقسم بالله أي حركة غباء من أي حد هخلص عليه سامعين؟؟

هز الجميع رؤوسهم بسرعة كبيرة تجنبًا لغضب أسامة، في اللحظة التي ارتفعت فيها اصوات سعال أنثوية وكأن هناك من يود الدخول.

نظر الأربعة صوب باب الغرفة، لكن شخص فقط هو من انتفض جسده، ولم يكن ذلك الشخص سوى جلال الذي ابتسم لرؤية فتاة شابة تحمل بين يديها صينية عصائر وبعض الحلوى المنزلية تضعها بخجل على الطاولة أمامهم:

- أي حاجة تاني يا بهوات؟؟

تلقف منها جلال الصينية سريعًا:

- من يد ما نعدمها يا غالية.

خجلت الفتاة ونظرت ارضًا سريعًا، والجميع يحدق في جلال باستنكار شديد، لكن لم يأبه لهم جلال البتة وهو يطيل بها التحديق، لتخجل الفتاة مجيبة:

- تسلم يا سي...

- جلال، اسمي جلال يا قمر.

ابتسمت له الفتاة بسمة صغيرة جعلت أعينه تخرج قلوب عدة وهو يسقط على الأريكة، لتغادر الفتاة خجلة مما حدث وكل ذلك تحت ثلاث أزواج من الأعين المستنكرة والمتعجبة..

وجلال كان في عالم آخر يردد بهيام:

- دي قالتلي يا سي جلال.

لكنه استفاق من ذلك الحلم الجميل على ضربة قوية من هند جعلته يطلق تأوهًا عاليًا:

- ما تحترم نفسك، عمال تعاكس في البنت عيني عينك كده؟؟ صحيح شوية رجالة عايزين رصاصة.

نظر أسامة بلوم لجلال:

- عجبك كده؟! لازم تخليها تسم بدنًا كل يوم بسببك؟؟

لم يفهم جلال ما يحدث، لكن أسامة لم يعط له حتى فرصة الاستفسار عن مقصده وهو يقول بصوت خافت:

- نركز كده شوية خلي ربنا يكرمنا في الموضوع.

وبالفعل اولى الجميع انتباهه لأسامة، ليشرع الاخير يشرح لهم ما يجب فعله في يوم الغد حينما يبدأون العمل، لتمر عليهم ساعة واثنتان حتى اقترب وقت المغيب..

تململ أسامة في جلسته حانقًا، فها هو يومهم الاول يضيع بلا فائدة، وكل ذلك فقط لانتظار إذن ذلك المسمى شيخ القرية ليبادروا بالعمل.

وما هي إلا دقائق قليلة حتى ارتفع صوت صراخ في البهو الخارجي للمنزل، وقد رنّ صداه في المكان بأكمله لرجلٍ يصيح متهكمًا ساخرًا:

- وانا كل ما واحدة تضيع ابنها هجري ادور عليه يا جابر؟ ليه هشتغلّهم دادة؟! ما كل واحدة تاخد بالها من عيالها وبلاش تقرفنا، قولنا بلاش حد يخرج بعد ما الليل يليل، لكن نقول ايه في عقول الجهلة اللي عايشين معاهم.

صدر صوت جابر هادئًا متزنًا بشكل كبير:

- أيوة يا شيخ بس أنت اللي ماسك القرية كلها، ودي مش حالة ولا اتنين.

- يعني ايه يا جابر؟! عايزني اعمل ايه في الموضوع؟! اجري اراقب عيال القرية عيل عيل؟! ما أنت شايف بنفسك أنى عملت كل اللي أقدر عليه بس مقدرتش ألاقي حد.

ابتلع جابر ريقه مرددًا بصوت خافت:

- ممكن يعني حضرتك تبلغ الشرطة وهو يـ ...

قاطع جملة جابر صوت اصطدام عكاز الشيخ بالأرض، ومن ثم هديره الغاضب:

- أنت بتهزر؟؟ شرطة ايه اللي يدخل القرية ويفضل يدور على العيال وريحة الموضوع تفوح، أنت ناسي أن العمودية ممكن تضيع مني واني مرشح نفسي نائب عن الدايرة بتاعتنا كلها وممكن كل ده يضيع في غمضة عين؟؟

فتح جابر فمه يحاول تبرير حديثه:

- أيوة بس الأهالي بقوا مرعوبين من الفزاعة و.

- فزاعة ايه يا جابر؟! أنت كبرت وخرفت، طب هما شوية جهلة ومصدقين ده، أنت تصدقه؟؟

كاد جابر يضيف حديثًا آخر لولا صوت تحطيم شيء زجاجي عنيف صدر من غرفة الضيوف ليتسبب في انتفاضة أجساد الاثنين وخروج صوت جابر متذكرًا:

- أنا نسيت خالص أن فيه ضيوف هنا...

***

الفصل الثاني

ولكشف الغموض تحتاج لسحبة صغيرة، سحبة لخيط الاسرار حتى يتكوم بين أناملك وتبدأ من عنده رحلتك في كشف الغموض الذي يحيط بك..

وحديث شيخ القرية الذي تسرب لآذان الجميع كان هو بداية الخيط لحل ذلك اللغز، كلمات كثيرة سجلها عقل هند على هيئة معلومات مرتبة ستستخدمها فيما بعد، لكن وحين اندمج الجميع مع كل ذلك أسقطت عفاف بالخطأ أحد الاكواب الموضوع أمامها لتتسع الأعين في هلع وتوجهت من فورها صوب عفاف التي همست برعب:

- هي... هي اللي وقعت لوحدها.

عض أسامة شفتيه حانقًا منها، وقبل أن يبادر ويوبخها على فعلتها اقتحم جابر والشيخ الغرفة عليهم، وقد أشار جابر لهم بملامح مقتضبة معرفًا عنهم:

- دول اللى جايين عشان التطعيمات يا شيخنا.

دارت أعين الشيخ بين الجميع بنظرات جعلتهم يتوترون لثواني قبل أن تتجمد ملامحهم بهدوء تام، وأسامة كان أول من خرج من حالة التوتر التي سادت وهو ينهض ليرحب به مبتسمًا:

- مساء الخير يا فندم، بنعتذر على الازعاج، لكن احنا في الحقيقة مستنيين من الصبح.

نظر الشيخ ليده الممدودة ثواني قبل أن يرفع خاصته عن عكازه

ويصافحه، ثم قال بهدوء وبسمة هادئة:

- نورتم البلد يا دكتور..

- ده بنورك يا فندم.

نظر الشيخ للجميع الذين نهضوا ووقفوا جوار أسامة وقال بنبرة غريبة:

- أنتم كلكم من القاهرة؟؟

هز أسامة رأسه ببطء شديد واجاب بكلمات موزونة ومدروسة:

- أيوة يا فندم كلنا من القاهرة.

- معنى كده أنكم ملكمش مكان تقعدوا فيه هنا؟!

هز أسامة رأسه بنعم وهو يراقب ملامح الشيخ وطريقة حديثه، بينما جلال يهمس في أذن أسامة بنبرة منخفضة:

- قوله يقعدنا عنده هنا يا أسامة.

نغزه أسامة في خصره بقوة مانعًا إياه من الحديث، ثم أنصت باحترام مصطنع للشيخ الذي قال بجدية:

- تمام تمام، ممكن البنات يفضلوا هنا في البيت مع حريمنا، وأنتم هشوفلكم مطرح تقضوا فيه الكام يوم اللي قاعدينهم..

تمتم جلال في اعتراض لم يصل لأذن العمدة:

- وعلى ايه اي مطرح، شوفلنا أي علبة كبريت ننام فيها.

ارتفع صوت الشيخ، ينادي بصوت مرتفع هزّ جدران المنزل وتسبب

في ارتجاف جسد عفاف التي تراجعت للخلف.

- فـــاطنة ...يا فاطـــنة.

تحفزت جميع حواس جلال وهو يحدق في الباب منتظرًا أن تطل عليه تلك الفتاة الجميلة مرة أخرى، لكن ما حدث هو أن دخلت فتاة أخرى تكبر الاولى عمرًا، لكن مع ثياب أفضل وهيئة تعبر عن مكانتها هنا.

أشار لها الشيخ معرفًا:

- دي فاطنة مراتي.

نظر لها الجميع ورحبوا بها في احترام شديد، ثم قال الشيخ:

- روحي اجري هاتي مفتاح بيت أهلك عشان نقعد فيه ضيوفنا.

نظرت له فاطمة بتعجب، ثم حدقت في الضيوف:

- يقعدوا في بيت ابويا؟؟

ضرب الشيخ بعكازه دلالة على ضيقه من أي حوار:

- امال اقعد رجالة غريبة وسط حريمي؟؟ انجري اعملي اللي قولتلك عليه.

هزت فاطمة رأسها تركض بسرعة صوب الطابق العلوي والشيخ يتابعها بملامح جامدة.

في حين أن عفاف اقتربت من أسامة هامسة برعب:

- أسامة أنا مش عايزة أفضل هنا مع الشيخ ده، ده شكله مرعب.

ردد أسامة بقلة حيلة:

- والله أنا من وقت ما جيت ما شوفت حد مش مرعب هنا يا عفاف.

ثواني وهبطت فاطمة تمد يدها بالمفتاح للشيخ وهي تقول في طاعة وبسمة صغيرة ترتسم على شفتيها:

- اتفضل يا شيخنا، بس هو لمؤاخذة يعني البيت محتاج تنضيف لاحسن هو مقفول من سنين طويلة.

أشار لها الشيخ بالتوقف عن الثرثرة، ومن ثم أشار صوب هند الحانقة من تصرفاته مع فاطمة، وعفاف التي تمسكت بها، وقال بأمر نافذ على رقاب الجميع:

- خدي البنتين للاوضة الضيوف وضايفيهم كويس اوي، وأنت يا جابر، خد المفتاح ووصل ضيوفنا لبيت اهل فاطنة وابعتلهم أي واحد يساعدهم ينضفوا أي اوضة ليهم هناك يقضوا فيها اليومين دول.

صمت ثم استدار فجأة لهم على حين غرة وتساءل:

- ألا هو أنتم ناويين بإذن الله تشرفونا قد ايه؟؟

ابتلع الجميع ريقهم ولم يجيبه أحدهم تاركين الأمر بين يديّ أسامة، فهو في النهاية قائدهم ومن يحدد كل شيء، ولولا أن أسامة خشي أن يُشك بأمرهم لكان أخبره شهرًا، لكن هو فقط حاول الإجابة بشكل محايد:

- على حسب عدد الأطفال في القرية يا شيخ.

هز الشيخ رأسه بتفهم واجاب بكلمات مقتضبة قبل أن يتحرك ويرحل:

- معناها مش مطولين معانا..

ولم يفهم أسامة أكانت تلك كلمات عفوية، أم مقصودة لأمرٍ يعلمه هو؟!

لكن ودون أن يمنحه جابر فرصة الإجابة، حمل عنهم الحقائب وأشار لهم باتباعه صوب منزل أهل فاطمة الذي يقع على بعد شارعين من منزل الشيخ.

بينما نظرت فاطمة للفتيات ببسمة لطيفة:

- اتفضلوا معايا، اتعشيتوا ولا اعملكم اكل؟؟

***

تحرك الاثنان خلف جابر يسيران في طرقات القرية التي كانت تخلو من أي طفل، جميع من بالخارج كبار فقط، أهذه عادات أم أن لِما يحدث يدًا بذلك؟!

وأثناء الطريق للمنزل توقفت اقدام أسامة يرى سيدة تلتحف بالسواد وهي تدور في القرية تردد بصوت مذبوح ودمعات وغصات صاحبت نبرتها:

- مجدي ... أنت فين يا حبيبي، أنت فين يابني؟!

ضيق أسامة ما بين حاجبيه بشك وهو يتحرك صوب تلك المرأة

التي كانت تتلمس طيف طفلها في جميع طرقات القرية تبكي وتنتحب وتتوسل الجميع ليساعدونها، وما كاد يصل لها أسامة حتى سمع أحد الرجال يردد بشفقة:

- الست عقلها لسع من يوم ما ابنها راح، ولسه يا عالم هيحصل فينا ايه تاني.

نظر لها أسامة جيدًا يحاول أن يحفظ تفاصيل وجهها، فهو يعلم أنه سيحتاجها، لكن فجأة انتفض جسده على صوت خلفه يهتف:

- ايه يا دكتور مش جاي؟؟

نظر له أسامة قليلًا، قبل أن يتحرك صوبه متسائلًا بفضول:

- هي الست دي مالها؟؟ وفين ابنها؟!

نظر له جابر ثم أجاب ببساطة شديدة:

- محدش يعرف والله يا دكتور بيقولوا ضاع في الغيطان وناس تقولك طلع عليه حاجة، واللي يقولك حد خطفه، وفيه بقي اللي بيقول الفزاعة أخدته، محدش عارف حاجة من اللي بتحصل هنا.

نظر أسامة لجلال الذي كان جسده يرتجف بخوف وهو يتبلع ريقه، وعيونه أخذت تدور في المكان حوله برعب شديد، يفكر في أن مُرتبه ليس كافيًا للمخاطرة بحياته داخل إحدى روايات الرعب القديمة.

وصل الثلاثة أمام منزل مظلم، لكنه ضخم من ثلاثة أدوار تقريبًا، التصق جلال بأسامة وهو يهمس:

- أنا عايز اروح، قولهم هنغير المهمة دي يا اسامة أنا مش هدخل المكان ده.

نظر له أسامة بصرامة شديدة:

- جلال اتعدل، مش ناقصين احنا لسه في أول المهمة.

أجابه جلال بحنق ورعب:

- ما هي المصيبة أننا في الاول، يعني في الاول وشوفنا كل ده، امال على آخرها هيحصل فينا ايه؟؟ هيطلعلنا ابو رجل مسلوخة؟؟

فجأة أنارت المصابيح أمام المنزل، لكن أحد تلك المصابيح كانت الإنارة به ترتعش خالقة جوًا مناسبًا لجلال ليكمل قصة الرعب في عقله، أشار جلال للمصباح:

- اهو اتفضل اللمبة بتاعة كل الافلام الرعب اشتغلت ناقص شبابيك البيت تتفتح لوحدها و.

ولم تكتمل جملته بسبب فتح أحدهم نوافذ المنزل بقوة جعلت جلال يطلق صرخة حادة وهو ينتفض للخلف برعب شديد:

- اهو قولتلك والله.

لكن أطل جسد جابر من تلك النافذة وهو يضرب كفيه مبعدًا عنهما الغبار، يسعل بتعب:

- الدنيا هنا بايظة خالص، لو كده هبعت حد ينضفها ليكم عشان تعرفوا تقعدوا، تعالوا ادخلوا.

تحرك أسامة صوب المنزل، لكن جلال رفض التحرك خطوة داخله،

فعاد له أسامة يجذبه بقوة وجلال يُلصق قدميه في الأرض أسفله يحارب للبقاء خارجًا:

- الله يكرمك يا عو سيبني أنا عايز انام في الطبيعة، منها وإليها يا اخي.

لكن أسامة جذبه بالقوة للداخل، حيث كان ينتظرهم جابر على باب المنزل، وحينما اقتربوا، أشار لهم ببسمة على المكان:

- البيت هيعجبكم متقلقوش، هو اساسا كان سرايا كبيرة وأهل الست فاطمة كانوا ناس مبسوطين فجهزوا البيت ده بأحسن ما عندهم، لكن من وقت ما ماتوا وهو مقفول.

تمتم جلال وهو ينظر في المكان وقد نسي خوفه مؤقتًا بسبب جمال المكان:

- الله يرحمهم، المكان فعلا جميل اوي.

ابتسم لهم جابر يشير على بعض الغرفة في الطابق السفلي:

- دول اوض الضيوف هبعتلكم بعد شوية ناس تنضفها، أصل البيت ده متفتحش من سنين طويلة، بس الظاهر كده قدمكم سعد عليه واهو اخيرا اتفتح.

ابتسم جلال وهو يرى الثرايا واللوحات الثمينة في كل مكان، المنزل ينطق بالرفاهية والغنى، فجأة توقف أمام لوحة كبيرة غير مفهومة كتلك التي يراها عادة في المتاحف تحت اسم "الفن التشكيلي"..

استدار صوب جابر الذي بدأ يعرف أسامة على المنزل وهو ينجرف في الحديث بحرية وعفوية شديدة عن كرم أهل المنزل وأخلاقهم:

- والله يا باشا القرية كلها بتقول إنهم ناس زي الفل، بس نقول ايه العين حق، في يوم اتقتلوا كلهم مرة واحدة.

توقف جسد جلال فجأة وتصنمت أقدامه مردّدًا:

- اتقتلوا؟؟ هما ...هما اتقتلوا؟! في البيت هنا؟؟ في المكان اللي هننام فيه؟؟ ويا ترى مسكوا القاتل ولا يجي يخلص علينا احنا كمان؟؟

فتح جابر أحد النوافذ للتخفيف من حدة الغبار التي تكاد تصيبهم بضيق تنفس:

- متخافش مفيش قاتل ولا حاجة، دول بيقولوا أن اللهم احفظنا العفاريت هي اللي خلصت عليهم.

ابتسم له جلال:

- الله يطمنك والله.

وفي ثواني كانت صرخاته تعلو في المنزل ويتردد صداها بين جدرانه وهو يركض للخارج يولول ويرتجف رعبًا وأسامة يركض خلفه ليمسك به، وجلال يصرخ بكلمات غير مفهومة لجابر الذي كان يركض خلفه يحاول تهدأته:

- يا دكتور اصبر أنا هبعت اشتري ليكم بخور ونولعه وبإذن الله مفيش حاجة، هما هيطفشوا منه.

قال جلال وهو يتخطى درجات المنزل برعب شديد:

- بخور ايه اللي هيطفشوا منه؟! هو احنا في مستشفى الصدر ولا ايه، والله ما أنا قاعد في المخروبة دي ثانية كمان، أنا مرتبي مش كبير لدرجة اموت ملبوس.

لكن وقبل أن يتخطى حديقة المنزل امسكه أسامة ينظر له بشر هاتفًا:

- جلال اقسم بالله أما اتلميت ورجعت واتظبطت لأضيعك سامع؟؟

- تضيع مين يا عو؟؟ ده بيقولك عفاريت وجثث وقتل، أنت مفكرني مستغني عن روحي ولا ايه؟! والله لأخد العربية وارجع اروح اشتغل في أي حتة إن شاء الله امسح بلاط المنظمة.

اتسعت أعين أسامة بشكل مرعب وهو ينظر حوله خوفًا أن يسمعه أحدهم، ثم جذب جلال له يردد من بين أسنانه:

- أنت لو مرجعتش دلوقتي أنا هـ ...

- ابني.. ابني يا ناس، ألحقوني، مليش غيره، ألحقوني يا ناس.

كانت تلك الكلمات الصاخبة هي ما قطعت تهديد أسامة لجلال وهو يلقيه بعيدًا عنه، ثم ركض بسرعة صوب الساحة الفارغة أمام المنزل ليرى الناس بدأوا يتجمعون حول السيدة التي تصرخ وتولول حتى أنها انهارت ارضًا تغرق نفسها بالرمال وتصيح بحرقة وقهر:

- أنا مليش غيره، بالله عليكم لتجيبولي ابني، بلاش هو، أنا

معنديش غيره في الدنيا، ألحقوني.

اقترب منها أسامة بسرعة وهو يدفع الأشخاص بعيدًا عنها يراهم يضربون الاكفة حسرة وشفقة، وبعضهم يردد كلمة اخترقت مسامعه لتثير ريبته " الفزاعة " ما الذي يعنونه بتلك الكلمة.

أبصر أسامة بطرف عينيه ركض هند وعفاف صوب التجمع وهم يشاهدون ما يحدث وجلال يقف خلفه ينظر للسيدة بأعين متسعة فزعًا، والكل يراقب ما يحدث دون القدرة على المساعدة أو قول كلمة.

والسيدة لم تتوقف عن الولولة والصياح:

- أنا بس انشغلت عنه وهو خرج وفجأة اختفى، اخدوه زي ما اخدوا كل العيال اللي قبله، هيقتلوه زي ما قتلوا ابن أشرف.

كل ذلك يحدث أمام الأربعة الذين بدأوا يسجلون كل كلمة تنطق بها تلك المرأة وأشار لهم أسامة في إشارة متفق عليها سابقًا بضرورة الاجتماع بينهم.

وثواني فقط حتى تدخل جابر يفرغ ذلك الحشد وهو يشير للمرأة أن تنهض وهو سيخبر الشيخ ليساعدها، لكن سيدة أخرى تدخلت في الحوار تصرخ بقهر وغضب جحيمي وهي نفسها المرأة التي كانت ترثي طفلها منذ دقائق.

- يساعد مين؟؟ وهو الشيخ بتاعك ده بيساعد حد؟! ما أنا روحتله وقت ما مجدي ابني اتاخد ومعملش حاجة، كل اللي قاله أنى اروح وهو هيشوف الموضوع، ويا ترى شافه؟؟

نظر لها جابر بغضب شديد ولم يكد يجيبها حتى سمع صوت الشيخ يصدر بهدوء شديد:

- وأنا قولتلك يا أم محمد أنك تروحي بيتك وابنك هيرجعلك، وأنا شغال على كده ومش بخلف بوعدي، لكن أنتِ سارحة في القرية تنادي ابنك، ومعطلة الكل.

نظرت له والدة محمد بسخرية لاذعة، ثم هبت صارخة في وجهه:

- اروح؟! وأنت بقي هتجبلي ابني امتى يا شيخنا؟! لما الاقيه جثة زي ابن أشرف ومرمي على الترعة وهو متشوه؟؟ ولا استنى لما ابني التاني يتاخد من قدام عيني؟؟

أشار الشيخ لجابر أن يسحب السيدة من أمامه بنظرات غامضة وكذلك فعل جابر، حيث تدخل يجذب " أم محمد" من أمام الشيخ وهي استمرت في الصراخ بصوت مرتفع:

- خليكم كلكم ساكتين لغاية ما الفزاعة تيجي وتاخد عيالكم واحد واحد، هتفضلوا كده لغاية ما كل بيت ينقص عيل.

نظر الشيخ للجميع، ثم أمرهم بالعودة لأمورهم منبهًا عليهم بصرامة كبيرة:

- حافظوا على ولادكم وبلاش يخرجوا بليل وترجعوا تبكوا وتشتكوا أنهم اختفوا.

أنهى حديثه، ثم نظر للاربعة جواره وقال بهدوء:

- احنا إسفين على الازعاج يا دكاترة، دي أمور عادي بتحصل،

والعيال في الآخر بنلاقيهم بيلعبوا في حتة بعيدة، اهلهم بس ناصحين يدوشونا.

هز أسامة رأسه بهدوء، ثم قال ببسمة صغيرة:

- ولا يهمك يا عمدة بتحصل فعلا كتير، استأذنك نرتاح عشان الطريق كان طويل.

ابتسم لهم، ثم تركهم متحركًا صوب منزله، بينما فاطمة والتي رافقت الفتيات اقتربت منهم تقول:

- يلا يا بنات عشان نرجع البيت.

نظرت لها عفاف بتردد وسارعت هند القول بتحجج:

- تمام يا مدام فاطمة احنا بس هنجهز الجرعات عشان بكرة نلحق نلف على شوية بيوت هنا، هنخلص ونرجع البيت لوحدنا متقلقيش عرفنا الطريق.

ابتسمت لهم فاطمة، ثم استأذنت لترحل تاركة الأربعة ينظرون لبعضهم البعض، أشار لهم أسامة ليلحقوا به صوب المنزل، وجلال كان الاخير بينهم، حيث خطى له بتردد شديد.

دخل أسامة وانتظر حتى لحق به الجميع، ثم اغلق الباب ولم يكد يستدير حتى سمع صوت جلال قد شرع يقص على الفتاتين ما حدث:

- البيت ده مسكون، جابر قالي إن فيه عيلة كاملة اتقتلت هنا، عيلة فاطمة كلها ماتت في البيت ده، والعفاريت هما اللي... امممم

وكانت باقي جملته عبارة عن همهمة بسب كف اسامة الذي أشار لها بحنق:

- أكتم شوية بدل والله اسيبك زي الكلب في البيت وأخلي العفاريت اللي حضرتك خايف منها دي تتصرف معاك.

صمت جلال لعلمه أسامة لا يمزح في تلك الأمور وانتبه بكُليته على حديث عفاف التي قالت بجدية غريبة:

- الست اللي اسمها أم محمد دي حاسة أنها عارفة حاجة وساكتة، طريقتها وهي بتكلم الشيخ بتاع القرية مش فيها خوف ومليانة ثقة.

نظر لها أسامة ثواني قبل أن يقول ما يفكر فيه:

- أو ببساطة مبقاش عندها حاجة تخاف منها فاتكلمت بثقة، لأن اللي زي ام محمد دي مجروحة واللي مجروح مش بيفكر في أي عواقب، يعني لو كان عندها كلام كانت قالته.

وافقته هند على حديثه وهى تضيف عليه:

- وكمان نظراتها للشيخ مش نظرات حد عارف حاجة وساكت، دي نظرات حد لو عرف حاجة محدش هيقدر يسكته.

أراد جلال المشاركة في الحديث وهو يقول بتفقه:

- طب هو ممكن يكون ايه اللي حصل؟! ومين ابن أشرف اللي كله بيتكلم عليه ده؟؟

قال أسامة يعض شفتيه شاردًا:

- ده بداية الخيط لينا، اشمعنا ده بذات اللي لقوا ليه جثة، لأن على حسب كلامهم وذكره كل شوية في الحديث أن محدش مات غيره، اشمعنا ده وليه حصل كده؟!

صمت الجميع يحاولون التفكير في الأمر قبل أن ينظر لهم أسامة يقول جديًا:

- تمام، احنا هنقسم الأدوار، بكرة هننقسم لجزئين، أنا وعفاف وهند وجلال، أنا وعفاف هنروح لبيت أم محمد دي بحجة تطعيم محمد، جلال وهند هيدوروا على بيت اللي اسمه أشرف ده بس بشكل مش محسوس وتحاولوا تعرفوا معلومات عن الطفل يمكن يوصلنا لمكان، وآخر اليوم نشوف وصلنا لايه..

فركت عفاف وجهها قليلًا:

- هو كلام تمام وزي الفل، بس أنت فاتك حاجة يا عو.

نظر لها أسامة منتظرًا لتقول ببسمة سخيفة:

- هنروح عند الناس دي نعمل ايه واحنا كلنا طينة محدش فينا بيعرف الحقنة بتتمسك ازاي اساسا؟؟

أضافت هند على حديث عفاف تساؤل آخر:

- وكمان حقن ايه اللي هنديها ليهم بالله؟! أصل انا شايفاك عمال تتكلم بحقة ولا كأنك قدام طقم تمريض.

ابتسم أسامة يضع يديه في جيب بنطاله وهز رأسه في حركة واثقة منه:

- وانا يعني عمري عملت حاجة مش مدروسة؟!

وجاءه الرد على هيئة جمل متداخلة من الثلاثة في اصوات ساخرة.

"ييييه كتير"

"متعدش"

"اه عملت قبل كده كتير يا عو"

كانت تلك الجمل المتراشقة بينهم هي مصدر انقباض ملامح أسامة الذي زفر بغيظ شديد وهو يلوح بيديه في الهواء:

- هما كانوا مرتين ولا تلاتة وخلاص، بس انا المرة دي دارس كل حاجة، روحت المستشفى واستعنت بصديق ليا وقالي إن الممرضين والدكاترة اللي بيعملوا حملات في القرى وبيمروا على المنازل بيدوا التطعيمات في قطارة في الفم مش حقن، الحقن دي بتكون في المستشفيات نفسها، وبالنسبة بقي هنديهم ايه فاحنا هنديهم فيتامينات وخلاص، تمام كده؟!

هز الجميع رؤوسهم، ليبتسم هو براحة:

- أي اسئلة؟!

رفع الثلاثة أيديهم رغبة في الحديث، لكن أسامة تظاهر بأنه لم ير شيئًا وهو يتمطأ بتعب:

- تمام كده توكلنا على الله...

في الصباح التالي.

اتجه كل شخص لتنفيذ ما طلبه أسامة مساء الأمس، تحركت هند مع جلال صوب بعض المنازل العشوائية في القرية.

واصطحب أسامة عفاف صوب منزل محدد استفسر عنه في طريقهم وهو منزل أم محمد...

نظرت عفاف صوب أسامة تقول بتردد:

- بقولك يا عو؟!

نظر لها أسامة بترقب لتبتلع ريقها متسائلة:

- هو أنت يعني لسه مقموص من الحوار الاخير؟!

رفع أسامة حاجبه بتشنج من استخدامها لذلك اللفظ تحديدًا في وصف حالته، تصفه بـ "المقموص" فقط لأنه غضب من جلوسها مع رجلٍ آخرٍ، رجل يعلم تمام العلم أنه يحب تلك الحمقاء.

- لا يا عفاف واتقمص ليه يعني؟! خطيبتي اللي هتكون مراتي، قاعدة مع راجل تشرب عصير مانجة هزعل ليه؟؟

- على فكرة مكانتش صابحة.

استدار لها أسامة ينتظر منها تفسيرًا لتلك الكلمة التي لا يفهم لها معنى لتعطيه هي توضيحًا:

- المانجة مكانتش صابحة.

فورًا تنفس أسامة الصعداء واضعًا يده على صدره جهة قلبه مطمئنًا واخيرًا لتصريحها:

- الحمدلله يارب، أخيرًا هعرف انام الليل، تخيلي الايام اللي فاتت النوم كان طاير من عيني كل ما أفكر أنك شربتي عصير مانجة طازة مع واحد تاني؟؟ قدر ولطف الحمدلله.

ورغم معرفتها أنه يسخر منها وبشدة إلا أنها منحته إحدى بسماتها الغبية فقط لتمرر الأمر:

- خلاص بقي صافي يا لبن؟؟

رمقها أسامة ببسمة ساخرة جانبية قبل أن يهرول بعيدًا عنها:

- صابحة يا مانجة.

نظرت له عفاف ولظهره الذي يحمل أعلاه حقيبة، وفي يده مبرد خاص لحمل الفيتامينات وركضت هي خلفه تناديه، قبل أن تتوقف معه أمام أحد المنازل التي وصفها لهم اهل البلد.

طرق أسامة الباب بخفة وعفاف تقف جواره مبتسمة بسمة صغيرة لتقابلهم والدة محمد التي فتحت الباب بغضب ظنًا أنه أحد المتطفلين، لكن فجأة تلاشى غضبها وحل محله الدهشة:

- أنتم مين؟؟

نظر أسامة ببسمة لها وهو يقول بهدوء:

- اهلًا يا مدام، احنا حملة تطعيمات نازلة البلد عشان تطعيم الاولاد، فيه اطفال هنا في البيت؟؟

امتلئ وجه أم محمد نظرات سوداء أثارت في قلوبهم الحيرة وهي تقول بحنق شديد:

- لا مفيش هنا اطفال.

وقبل أن تغلق الباب وضع أسامة يده مانعًا إياها بلطف ومراعاة لحالتها، يدفع الباب ومن ثم قال بصوت واثق:

- ازاي، الجيران قالوا إن عندك طفل اسمه محمد.

نظرت لهم بشك وهي تحاول التخلص من ذلك الأمر، لم تعد تهتم أو تثق بأحد يحاول الاقتراب من طفلها الوحيد:

- وانا مش عايزة أطعم ابني، أنا ايه يضمنلي أن التطعيمات دي كويسة اساسا، مش يمكن دي طريقة تانية عشان يخلصوا من عيالنا غير الخطف؟!

نظر أسامة لعفاف التي كانت تلتزم الصمت قبل أن تقرر التدخل متسائلة ببسمة مترددة بعض الشيء:

- معلش ممكن ندخل؟؟

نظرت لهما بشك كبير، لكن أسامة لم يسمح لها بالتفكير والرفض:

- صدقيني التطعيم مهم عشان ابنك.

وها هو يستغل نقطة ضعفها التي قدمتها هي منذ ثواني لهم على طبق من ذهب، لذلك انزاحت قليلًا عن المدخل سامحة لهم بالدخول وهي تنادي بصوت حاد على محمد.

دقيقة واحدة وظهر أمامهم طفل على مشارف المراهقة، توقف محمد أمامهم بريبة وهو ينظر لوالدته بعدم فهم:

- هما مين دول؟ دول اللي هيرجعوا مجدي من الفزاعة؟!

تعجب أسامة وكرر تلك الكلمة التي أثارت انتباهه مساء الأمس:

- الفزاعة؟؟ فزاعة ايه دي؟! دي اللي بتكون في الأرض عشان تخوف الطيور؟!

رفض محمد سريعًا وهو يصف له بلهفة ما علمه عن ذلك الكائن الذي لا يعلم له أحدًا تصنيفًا:

- لا ده اللي بيخطف العيال، صاحبي كريم شافه بيقول كان لابس اسود في اسود وبيظهر كل يوم بعد المغرب ويخطف عيل زي ما خطف مجدي أخويا.

تدخلت والدته فورًا تمنعه من إكمال ذلك الحديث الذي لا تقتنع بصحته أبدًا:

- بس كلام يا محمد وخد التطعيم وأنت ساكت.

نظر لها محمد بخوف قبل أن يهز رأسه ويقترب من اسامه الذي منحه بسمة حنونة يربت أعلى كتفه:

- أنت قوي يا محمد عشان مش خايف من كل ده.

ابتسم له محمد بسعادة كبيرة لتلك الكلمات:

- لا أنا مش خايف خالص.

أخرج أسامة إحدى زجاجات الفيتامين وقام بسحب البعض منها باستخدام القطارة، ومن ثم أمسك بذقن محمد يجذبه لأسفل، يقطر قطرتين فقط في فمه، ثم ابتسم له:

- عاش يا بطل، يلا روح شوف مذاكرتك.

هز محمد رأسه يتحرك بسرعة كبيرة صوب الداخل ووالدته تحدق فيه بأعين ضبابية، ولم تستمع لشيء ولا حتى لكلمات أسامة وعفاف المستأذنة.

وبمجرد خروج الاثنان من منزل والدة محمد شعرا بزيادة الحيرة، من تلك أو ذلك الفزاعة، رجل ام امرأة؟! وما السبب الذي يجعلها لا تظهر سوى في المساء فقط؟!

- هنعمل ايه يا عو؟!

نظر لها أسامة قبل أن يقول بهدوء مفكرًا:

- هندور على بيت كريم ده اللي قال محمد أنه شاف الفزاعة.

***

كان جلال يتحرك مع هند وهو يصفر باستمتاع شديد يراقب الحقول الخضراء التي عكست جمال الطبيعة في ذلك الجزء من القرية، الأمر في الصباح يختلف تمامًا عن المساء.

تحدثت هند حينما خرجوا من المنزل الثالث:

- هنلاقي بيت أشرف ازاي من غير ما حد ياخد باله أو يشك فينا؟!

فكر معها جلال ثواني قبل أن يوقف أحد المارة ويسأله بشكل مباشر دون تفكير أو تعقيد للأمور:

- ألا قولي يا باشا فين بيت الراجل اللي اسمه أشرف ده؟!

اتسعت عين هند بقوة شديد وهي تستدير له ببطء تراه يتحدث للرجل بكل أريحية وهو يصف له من يبحث عنه:

- أيوة أيوة الراجل اللي لقوا ابنه ميت على الترعة.

تدخلت هند بسرعة كبيرة وهي تجذب جلال لها تضحك بصوت منخفض وكأنه قال مزحة لها:

- معلش يا حضرت أصله يا عيني عقله على قده، اعذرنا.

نظر لها جلال باستنكار شديد وهي تعتذر من الرجل وتقول له كلمات حاولت بها شغله عن سؤال جلال له، ومن ثم استدارت لجلال تصيح بصوت كتمت به غضبها قدر الإمكان كي لا تجذب انتباه المارة لهم:

- أنت ياض ايه تعريفك عن السرية؟؟ ده أنت لو قاصد تودينا في داهية مش هتبقى بالصراحة دي.

ختمت حديثها بضربة عنيفة على كتف جلال الذي تأوه بصوت مرتفع يعترض على معاملتها له وهي بمثل مكانته في ذلك الفريق:

- ايه بتضربي ليه أنتِ؟؟ الحق عليا بحاول اختصر الطريق.

- تختصر طريق؟؟ ده أنت لو أسامة عرف غبائك ده هيخليك تختصر الباقي من حياتك، امشي يا جلال امشي الله يكرمك، أنا مش فاهمة ليه كل مرة بلبس معاك أنت في التقسيمة، يعني فوق ما أنا مش طايقة الرجالة البس في راجل وكمان جلال.

كانت تتمتم بكلمات حانقة أثناء السير، ترى تجمهر العديد من الأطفال حولها، والعجيب في الأمر أن أكثرهم يبدون بعمر أكبر من العاشرة.

ساروا يبحثون في الطرقات عن سبيل للوصول إلى منزل أشرف ذاك، حتى ملّ جلال الأمر وقال بغيظ شديد:

- أنا تعبت خلاص، الشمس اكلت دماغي وده كله معملناش حاجة، بعدين أنا مش فاهم هو القرية كلها مفيهاش غير أشرف واحد؟؟ يعني لو قولنا فين بيت أشرف هيقولولنا هناك اهو؟!

وفجأة ظهر أمام الاثنين صبي يبدو في الخامسة عشر من عمره، حيث بدأ يخطو المراهقة وحصل على صوت خشن أشبه بأصوات الرجال:

- أنتم عايزين ابويا في ايه؟؟

أشار له جلال بتسائل محتار:

- هو أشرف يبقى ابوك؟؟ أنت أخو الولد اللى لقوه مـ ...

منعته هند من استكمال تلك الجملة الغبية التي يرددها على مسامع الجميع كما لو أنها عادية أو ما شابه، ذلك الشاب لا يدري شيئًا عن الخواطر.

انحنت هند قليلًا فقط تردد بجدية:

- احنا كنا جايين عشان نطعم الاطفال، هل يا ترى عندك اخوات اطفال عشر سنين او اقل للتطعيم؟؟

هز الصبي رأسه بالإيجاب وهو يشير لهم أن يلحقوه بسعادة، يسير متباهيًا بين الجميع وهم خلفه، يتكبر ويفتخر بهم بين الجميع كما لو أنهم جاءوا لتكريمه:

- أيوة عندي ثلاثة اخواتي، صبحي وسميرة و.

صمت ثواني قبل أن تتغضن ملامحه بشكل مؤلم، وبدا كما لو أنه يبتلع غصة في حلقه قائلًا:

- وكمان جمال الله يرحمه.

هنا وعلمت هند أنها أصابت، وأنها في طريقها الصحيح صوب منزل ذلك الطفل الوحيد الذي قُتل من بين الذين خُطفوا.

وصلوا أمام منزل أشرف ليشير الصبي له قائلًا ببسمة:

- ده بيتنا، ادخل انادي امي؟؟

وافقت على حديثه هند لينطلق الصغير يصيح على والدته أن تأتي لرؤيتهم، وهي نظرت لجلال الذي قال ببسمة:

- بصي وصلنا بفضل ذكائي، لولا أن الولد سمعني مكانش وصلنا ولو بكرة.

خرجت سيدة من المنزل ترتدي خمارًا كبيرًا يداري تفاصيل جسدها، تحمل فوق ذراعيها طفل صغير ربما هو أحد الذين ذكرهم الصبي.

خرج خلفها الصبي يقول لامه:

- دول الناس اللي بيلفوا على البلد من الصبح، كانوا بيدوروا على

البيت بتاعنا..

تنحنحت هند بسرعة تقاطع الصبي:

- قصده بندور على البيوت اللي فيها اطفال عشان التطعيمات.

صمتت ثم قالت بحرص وغموض ترجو أن تستدرج تلك السيدة للحديث معها حول طفلها:

- هو البيت ده فيه كام طفل؟!

سارع الصبي يجيب بحماس شديد:

- ما أنا قولتلك يا أبلة احنا تلاتة في البيت.

استاءت هند من ذلك الصغير الغبي الذي يصر على إفساد عملها وكشفها أمام والدته، ذلك الثرثار يبدو كما لو أن أحدهم ألقاه عليها عمدًا:

- ما تبس بقي يا حبيبي، مش أخلص من جلال تطلعلي أنت.

زفرت بحنق، ثم نظرت لوالدة الصبي التي كانت تحدق في الهواء شاردة بلا أي ردة فعل.

- حضرتك معايا؟؟

نظرت لها السيدة بانكسار، جذب لها تعاطف هند الكامل التي أمسكت يد المرأة بحنان:

- أنتِ كويسة؟!

وتلك المرارة التي علت وجه المرأة انبأت هند بسخافة ذلك

السؤال، وهي وكأنها لم تصدق أن أحدهم واخيرًا تساءل عن حالتها:

-كويسة؟؟ شوفت ابني جثة مرمية على الترعة بين الزبالة وجسمه كله خطوط كأن واحد كان بيلعب بالسكين فيه وتقولي كويسة؟؟!

وتلك الكلمات لم تكن عابرة أبدًا لا لهند ولا حتى لجلال الذي نظر لها بغموض يتساءل:

- خطوط؟؟

هزت المرأة رأسها وهي تضم طرف خمارها لفمها باكية:

- أيوة خطوط وكـ

وتوقفت المرأة عن الحديث فجأة حينما ارتفعت صرخة حادة قاسية ومرعبة تهتف باسمها:

- نجـــــــاة ...

***

الفصل الثالث

البعض وُلد ونضج وتشرب من الخوف كؤوسًا حتى ثمل، والبعض الآخر، لم ينتظر أن ينضج، بل رضع الخوف مع حليب أمه وتجرعه حتى شبع، فالخوف هو داء الفقراء، ومفتاح نجاة الأغنياء.

وهذا الرجل زوج نجاة كان من النوع الأول الذي مثّل له الخوف داء شنيع؛ داء تغذى عليه حتى تمكن منه، بل وتخطى الأمر ليتمكن من عائلته عن طريقه هو.

اقترب المدعو أشرف يحدج زوجته بنظرات متوعدة التقطتها هند بوضوح تام، ولولا خوفها من فشل المهمة، لكانت نهضت الأن ونشبت في وجهه بأظافرها.

امسك أشرف مرفق نجاة بقوة يضغط على يدها بتحذير شديد:

- مش قولنا نبطل التخاريف دي؟؟ مش كل ما تشوفي حد تقعدي تحكيله على اوهامك والكلام بتاعك ده.

أبعدت هند عيونها عن ذراعه، ومن ثم نظرت نظرة جانبية لجلال الذي تحدث بجدية متدخلًا بهدوء:

- أهدى يا أستاذ، المدام مقالتش حاجة يعني، بعدين هي غلطت في ايه؟ ام وزعلانة على ابنها.

استدار له أشرف يقول بسخرية لاذعة:

- وأنت مين إن شاء الله عشان تدخل بيني وبين مراتي؟؟

رفع جلال رأسه عاليًا يقول بجدية:

- أنا جلال يا استاذ، بشتغل ممرض في مستشفى في القاهرة وجاي بخصوص التطعيمات للأطفال، وكنت جاي عشان أطعم اولادك.

نظر لهم أشرف بشك قبل أن يشير لابنه أن يتحرك:

- غور روح نادي اختك خلينا نخلص من الحوار ده.

وبالفعل ركض الصبي بسرعة كبيرة تاركًا هند وجلال يفكران فيما سمعها منذ ثواني، ماذا تعني نجاة بأن جثة ابنها كانت مليئة بالرموز والكلمات غير المفهومة، لمع في رأسها أمر سريع ونظرت صوب جلال الذي كانت عيونه متسعة بشكل أخبرتها أنه ربما فكّر فيما تفكر به، أو ربما لأنه رأي شيئًا احمقًا لا أكثر، لكن لا بأس في المساء عند اجتماعهم ستخبرهم بكل ما توصلوا له..

ثواني وعاد الطفل يجذب فتاة صغيرة لهم والتي كانت تحاول أن تتركه وتهرب بعيدًا، لا تدري أخوفًا منهم، أم من تلك التطعيمات مُرة الطعم؟!

لكن على أية حال انتهى الاثنان من الأمر وغادرا بهدوء شديد تحت أعين أشرف والذي بمجرد ابتعادهم خطوات معدودة جرّ زوجته صوب المنزل صارخًا:

- ادخلي، اتفضلي يا ست هانم أما نشوف اخرتها معاكِ ومع الكلام اللي ماشية تنطوريه في البلد كلها لما خلاص بقيت معروف أنى عايش مع مجنونة.

دفعته نجاة بقوة تتحرك صوب غرفتها، وضعت الصغير في فراشه

بهدوء شديد وحنان، قبلته وخرجت بخطوات غير مسموعة، ومن ثم أغلقت الباب لتنفجر فجأة في زوجها عندما تأكدت من رحيل أطفالها للعب:

- أنا برضو اللي مجنونة ولا أنت اللي واحد جبان، خايف تتكلم عشان سيدك وولي نعمتك اللي سكتك بقرشين وقالك متفتحش بؤقك، نسيت ابنك يا أشرف عشان قرشين اخدتهم من شيخ البلد؟!

هبطت دموعها تصرخ في وجهه وقد فاضت حسرتها، وامتلئت قهرًا:

- يا اخي ده العمدة خايف على مكانته وبيدفع عشانها الغالي اكتر ما أنت خايف على عيالك.

وجاءها الرد قويًا من زوجها وهو يصيح مبررًا في وجهها بحجج واهية:

- أنتِ بتخرفي تقولي ايه؟؟ مفكراني مش زعلان على ابني؟؟ مين اللي كان بيدور عليه زي المجنون اول ما اتخطف، مين اللي مكانش بينام الليل أول ما اختفى؟؟

- ومين اللي سكت وعمل نفسه اعمى اول ما قبض؟؟

وبمجرد انتهاء جملتها نالت الرد على سؤالها على هيئة صفعة قوية أسقطت نجاة ارضًا، وصراخ حاد منه:

- انتِ غبية ومتخلفة ومصرة تودينا في داهية، فوقي وبطلي الجنان بتاعك، العمدة بس لو شم خبر أنك ناوية تتكلمي على اللي حصل مش بعيد يطين عيشتنا.

نظرت له زوجته بحسرة ولم تتحدث واكتفت بالبكاء لتعبر عما يتلجلج في صدرها من مشاعر قهر وحزن، بينما هو نظر لها بشفقة قبل أن يتحرك للخارج بعيدًا عنها وهي تولول وترثي طفلها الفقيد لشيء هي لا تدرك هويته بسبب جهلها..

توقفت عفاف أسفل إحدى الأشجار التي تفرد ظلها في الساحة التي يلهو ويلعب بها الاطفال، تلتقط أنفاسها بتعب شديد، استدارت لأسامة الذي كان ينظر لها بهدوء ينتظر أن تنتهي من الاستراحة الثالثة لها خلال اليوم.

- احنا باقي لينا كتير عشان نخلص اليوم؟؟ ما كفاية كده يا عو ونكمل بكرة.

نظر لها أسامة بسأم:

- بطلي دلع يا عفاف وقومي يلا عشان نكمل.

- وليه نكمل ونتعب نفسنا؟! ما احنا نروح لأي عيل من اللي بيلعبوا دول ونسألهم على الأستاذ كريم اللي طلع عيننا من الصبح.

فكّر أسامة قبل أن يقول بنبرة هادئة تحمل بين طياتها غضبًا من ذلك العقل الذي يقبع داخل رأسها:

- وهو لما ننادي أي عيل من العيال دول مش هنثير الشك في قلوب الناس.

- يا عو كده كده الناس مش بتبطل شك على الفاضي والمليان فخليهم يشكوا براحتهم، بعدين بزمتك يا شيخ شكلك وانت شايل

الكولدير زي بياعين العرق سوس في السيدة ده مش مثير للشك؟؟

ختمت جملتها وهي تطرق على الحقيبة التي يحفظ بها عينات الفيتامينات أعلى ظهره، ثم أضافت بجدية:

- بعدين يعني هيشكوا في ايه؟! أننا بنخطف العيال؟؟ كانوا اتنيلوا شكوا في أي حد بدل ما عيالهم عمالين يتخطفوا من بينهم.

نظر لها أسامة ثواني وتكبر عن الاعتراف بأنها محقة، لكن الأمر هو أن تجذب طفلًا نحوك في وضح النهار وعلى مرأى ومسمع من الجميع، لن يكون مثيرًا للشك بقدر ما هو مخيفًا، خاصة مع كل تلك الحالات من الاختفاء وهما غريبان عن القرية.

- ها انادي أي عيل ولا ايه؟؟

فتح فمه ولم يكد يُدلي بموافقته أو رفضه، حتى وضعت عفاف إصبعين في فمها وأطلقت صفير صغير، مشيرة لأحد الصبية:

- تعالى يا عسل عايزاك فـ

نظر لها أسامة بصدمة وهو ينقض عليها يكمم فمها بقوة، يشعر أنه على وشك الإصابة بسكتة قلبية:

- أنتِ يابت ايه مفيش عقل خالص؟؟ بقولك مش عايزين نثير الشك أو حد ياخد باله مننا، تقومي مخلية حتى اللي قاعدين في بيوتهم يخرخوا يشوفوا فيه ايه؟؟

نظرت له عفاف بعدم فهم:

- ايه انا بحاول اساعد.

- تساعدي ايه يا بلوة، ده أنتِ نيلتيها خالص، دي الناس بتبصلنا كأننا واكلين ورثهم، امشي قدامي خلينا نختفي من هنا.

وقبل أن يخطو أحدهما خطوة وجدا العديد من الأشخاص ينظرون لهما بريبة شديد، منحهم أسامة بسمة وهو يقول:

- احنا بس كنا عايزين نسألهم لو لسه فيه حد هنا متطعمش، شكله كده كله اتطعم.

وبتلك الكلمات أعلن أسامة نيته بالتحرك بعيدًا عن مرمى أعينهم وانصرف فورًا، لكن عفاف كانت ما تزال واقفة وهي تشير للصبي بإصرار مبتسمة له بغرض جذبه ناحيتها، ليعود لها أسامة بشر:

- هو البعيدة هبلة؟! ما تروحي تكممي بؤقه قدام الناس عشان تأكدي ليهم أنك خاطفة اطفال بجد.

ورغم حديثه ونبرته المنزعجة إلا أنها لم تتوقف عن الإشارة للصغير والابتسام له تلك البسمة المريبة والمرعبة بعض الشيء، ليضرب أسامة كفيها بغضب:

- أنتِ بتعملي ايه ده انا ذات نفسي خوفت؟! ايه البسمة المرعبة دي؟؟ هتوقفي قلب العيال.

نظرت له باعتراض ليصرخ في وجهها:

- امشي يا عفاف، امشي قدامي.

دفعها بقوة لتسير مجبرة رغم رغبتها في العودة ومعرفة ما تريده من ذلك الصبي، لكن وكأن أسامة قرأ نيتها الواضحة ليهتف من بين

أسنانه:

- أنتِ لو ممشتيش وأنتِ ساكتة انا هنزل بالكولدير اللي على ضهري فوق دماغك يا عفاف.

- مش هتقدر، عشان لو حصلي حاجة هقول لهند.

اقترب منها أسامة هامسًا بشر:

- لو متحركتيش هقتلك أنتِ وهند وجلال فوق البيعة وأخلص منكم واعيش مرتاح الباقي من حياتي واتفرغ لبيع الحمص على كورنيش النيل.

وعندما أدركت جدية حديثه، هزت رأسها وتحركت بسرعة من أمامه وهو يزفر بقوة مكتفيًا بما توصل له لليوم، مقررًا البحث غدًا عن ذلك الطفل المسمى كريم، لا يعلم كيف، لكن ربما يستدرج أحد الأطفال دون علم أحد ويسأله..

- أنا مشيت وراهم زي ما بلغتني يا شيخنا ولقيت أنهم بدأوا يوزعوا تطعيمات بالفعل على البيوت هنا.

تمسك الشيخ برأس العصا الابنوسية بكلتا يديه، وهو يستند عليها بذقنه في شرود:

- مش عارف ليه يا جابر مش مطمن لوجودهم الوقت ده بذات قبل الانتخابات، خايف يكون حد زاققهم عليا من منافسين الدايرة لأجل ما يدمروني.

اقترب منه جابر يردد بطاعة عمياء لرب عمله وصاحب الفضل

عليه في كل شيء منذ بدأ يستوعب الحياة حوله، فهو ما كان سوى صبي يتيم مشرد، قبل أن يلتقطه شيخ البلد ويتنبى تنشأته:

- اؤمرني يا شيخ وأنا أنفذ اللي تطلبه مني، حتى لو هكون زي ضلهم في كل مكان هعمل كده.

امتلئت عيون الشيخ بكلمات غير منطوقة أثارت حيرة جابر:

- لا يكفي أنك تتأكد أنهم مش بيعملوا مشاكل ولا ليهم علاقة بأهل القرية غير اللي جايين عشانه.

- أوامرك يا شيخنا، تؤمرني بحاجة تانية؟؟

أشار له الشيخ بالتحرك في الوقت ذاته الذي اقتربت إحدى النساء ذوات الأجساد الممثلة من باب الغرفة التي يجلس بها الشيخ تردد

في دلال واضح ونبرة خبيثة:

- صباح الخير يا شيخنا، ايه مسألتش عليا يعني، ولا البت اللي اتجوزتها على آخر العمر دي هتاخدك مني؟؟

رفع الشيخ نظره صوب تلك المرأة والتي كانت هي نفسها صفية زوجته الأولى والتي تزوجها منذ أعوام طويلة:

- ولا تاخدني ولا تسيبني، أنا مش فاضي للكلام بتاعكم أنتم الاتنين ده، أنا داخل على انتخابات وعايز ربنا يكرمني.

رفعت حاجبها ساخرة:

- وهو أنا اللي هعطلك يا رفعت؟؟

نهض رفعت عن مقعده يزفر بملل:

- ولا تعطليني ولا اعطلك، أنا همشي من هنا عشان مش طايق اتكلم مع حد الساعة دي.

راقبت صفية رحيله بأعين غاضبة معتادة وقد انتوت شرًا لضرتها التي تسكن أسفل سقف منزلها، لكن فجأة انتبهت لتحرك جسد فتاة شابة من أمام الغرفة صوب البهو:

- خير، هو هيعملها تالت ولا ايه؟؟

في ذلك الوقت كانت عفاف قد عادت وقررت أن تأخذ قسطًا من الراحة قبل العودة للاجتماع مع الجميع مساءً، لكن وأثناء دخولها المنزل سمعت صوتًا مرتفعًا يصدر من إحدى غرف المنزل.

ارتفع حاجبيها بتعجب ولم تكد تتحرك صوب تلك الغرفة حتى سمعت صوتًا يصدح في المكان:

- خير يا شابة، أنتِ مين وبتعملي ايه هنا في بيتي؟؟ هو ديك البرابر قرر يعملها تالت ولا ايه؟!

استدارت لها عفاف ببطء ولم تفقه لها هوية:

- نعم؟؟ حضرتك بتكلميني؟؟

ابتسمت صفية ساخرة من طريقة حديث عفاف معها:

- حضرتي؟؟ وكمان جايبها محترمة؟؟ وقعتي على رفعت فين يا ختي بس؟؟

- رفعت؟؟

اقتربت منها السيدة وتوقفت أمام عفاف تفحصها بشكل وقح:

- الحلوة منين بقي؟؟ وبتعملي ايه هنا؟؟

- أنا من القاهرة.

مال رأس صفية وهي تضيق عينيها متسائلة:

- رفعت اللي جابك؟!

- رفعت مين؟؟

- الشيخ يا ضنايا هو اللي جابك البلد الفقر دي؟؟

نفت عفاف كل ما تحدثت به تلك المرأة:

- لا أنا مش جاية بأمر منه، أنا جاية مع صحاب ليا عشان ...

ولم تكمل جملتها إذ قاطعتها تلك المرأة بتسرع وقد افلتت لسانها من سيطرة عقلها، ومارست هوايتها المفضلة في الفضول والتدخل في كل شيء:

- أنتِ جاية عشان حوار الخطف اللي بيحصل؟!

اتسعت أعين عفاف بقوة لدرجة أن لو كان أحد يستطيع التفكير أمامها، لكانت أثارت ريبته، ابتلعت ريقها ببطء تحاول التحكم في ردات فعلها الغبية:

- خطف ايه؟! لا أنا جاية عشان التطعيمات.

نظرت له السيدة بحاجب مرفوع:

- تطعيمات ايه دي يا حبيبتي؟؟ هو ده وقته تطعيمات؟؟

حسنًا يبدو أن السيدة ليست بذلك الغباء الذي ظنتها تمتلكه، لذلك حاولت التفكير في كل كلمة قبل أن تنطقها، لكن السيدة سارعت

وأضافت على جملتها الاولى:

- اقطع دراعي أما كنتِ أنتِ واللي بتقولي عليهم صحافة زيكم زي شوية العيال الهبل اللي جم من شهر وبعدين فص ملح ودابوا.

أثارت تلك الكلمات انتباه عفاف وبشدة:

- صحافة؟؟ جات من شهر؟؟ وهما فين دول؟؟؟ وازاي محدش سمع عنهم؟؟

***

توقف جلال أمام المنزل الذي يقطن به رفقة أسامة، بعد يوم طويل مرهق، قضاه رفقة هند في الدوران حول القرية مستجوبين العديد من الأهالي، والنتيجة ...لا شيء، لم يتحدث أحدهم بكلمة واحدة وكأنهم يخشون على المجرمين، أشار جلال لهند أن تدخل معه:

- اتفضلي يا استاذة هند معايا.

رمقته هند مستنكرة حديثه لها:

- ليه يا جلال شايفني ناقصة وجع دماغ عشان أدخل معاك؟؟

وتلك الجملة ورغم أنها لم تكن تحمل أي كلمات قد تغذي غرور ذلك الأبله، إلا انها فعلت وببساطة، إذ همس له شيطانه بخبث أن

هند لم ترفض الدخول معه سوى لأنها لا تضمن نفسها جوار شابٍ وسيم مثله، وكأنه ينتظر شيطانًا ليوسوس له، في الأساس غروره لا يحتاج أسمدة لينمو، فهو والنباتات الطبيعية تنمو دون الحاجة لمحفزات:

- أيوة فاهم طبعًا أنك خايفة على نفسك، بس يا هند أنا مستحيل ابصلك بالشكل ده.

- أنت فعلا مستحيل تبصلي، عشان لو عملتها أنا هخزقلك عيونك يا جلال.

أنهت حديثها تتحرك من أمامه وهو ظل واقفًا أمام المنزل يراقبها ترحل بخطوات متأنية واثقة وهو فقط ابتسم يردد:

- اكيد خايفة الفتنة، معذورة.

تحرك صوب المنزل، يطلق صفيرًا عاليًا مستمتعًا، لكن وبمجرد أن وطأه انتبه لذلك الجسد الذي سلب دقاته لأول مرة البارحة وهو يخرج من احدى الغرف.

تحرك صوبها ببطء وخطوات رشيقة، وكم ود لو سار بطريقته المفضلة - الحركة البطيئة - لكن المكان غير مؤهل لذلك.

أعاد خصلاته للخلف، مقتربًا من الطاولة التي تلتصق بباب الغرفة:

- هاي يا قمر.

كان يلوح بكفه وهو يبتسم بسمة ناعسة جانبية، لكن فجأة انتفض جسده بقوة لدرجة أنه سقط بسبب صرخة الفتاة المرتعبة وكأنها

رأت عفريتًا.

بينما جلال زحف للخلف بعدم فهم:

- ايه؟ ايه فيه عفريت ولا ايه؟؟ شوفتي ايه؟!

كان يتحدث بنبرة أوشكت على البكاء لتقول الفتاة وهي تحاول تهدئة ارتعاشة جسدها:

- لا أنا بس اتفزعت أما شوفتك.

ضربة قاتلة وجهتها لغرور وكبرياء جلال الذي تشنج وجهه ناهضًا:

- اتفزعتي لما شوفتيني؟! ليه ماشي بوش محروق ولا بتلات عيون؟؟

خجلت الفتاة منه وسارعت بتبرير جملتها:

- لا يا سي الدكتور، أنا مش قصدي، أنا بس.. يعني أول ما خرجت لقيتك في وشي ففكرتك يعني اللهم احفظنا شبح ولا عفريت.

- ده اسود، اللى قولتيه ده طين الدنيا اكتر.

صمتت الفتاة بخجل ليقترب هو منها متناسيًا كل ذلك، هامسًا:

- مقولتليش يعني المرة اللي فاتت اسمك ايه يا قمر انت؟!

ولأول مرة في حياته يرى جلال تأثيره واضحًا على إحدى الفتيات، ليس وكأنه لم يحطم بالفعل قلوب الكثيرات، لكن تلك الفتاة فاجئته أن خجلت بهذا الشكل وهي تهتف على مسامعه بنبرة خافتة:

- خدامتك تسنيم يا سي جلال.

ها هو غروره ينتعش مجددًا بعد ضربة هند التي كادت ترديه قتيلًا، ابتسم بسمة واسعة وقال:

- اسمك حلو يا تسنيم، ألا قوليلي أنتِ مرتبطة؟؟

شهقت تسنيم بصدمة من جرأته في الحديث معها، وهو تعجب الأمر ولم ينطق بكلمة، بل سمع صوت أسامة يقول بصرامة:

- شكرا يا آنسة تسنيم تقدري تروحي تعبتك معايا.

وكأنها كانت تنتظر كلمته لتركض خارج المنزل المخيف بأكمله وجلال يراقبها بأعين مهتمة، ومن ثم عاد ونظر لأسامة متفاخرًا:

- ايه يا اسامة ما كنت تستنى شوية؟! ولا أنت زعلان أن البنت حلقتلك وجاتلي.

- حلقت لمين يا معفن ما أنا متنيل معايا بلوة وخاطبها، بعدين احنا في ايه ولا في ايه، ما تركز شوية يا جلال.

هز جلال رأسه يردد بملل:

- ماشي هركز، أي أوامر تانية؟؟

- لا شكرا، بليل بس تكون في الصالون عشان الاجتماع بتاعنا.

اومأ له جلال وتحرك بعيدًا عنه تاركًا أسامة خلفه يستغفر ربه عن أي ذنب ارتكبه، لربما وجوده في هذا السرب من البط البلدي هو ذنب قديم يكفر عنه الآن.

وجلال سار مبتعدًا يتمتم بحنق وبأمل كبير:

- بكرة تتشال وتبقى شغال تحت ايدي ووقتها مش هرحمك.

أطلّ أسامة برأسه حانقًا ساخرًا:

- سمعتك على فكرة.

أشاح جلال بيده دون الاستدارة له مبديًا عدم اهتمام واضح، جعل أسامة يعض شفتيه بغضب شديد، ألا يوجد من يحترمه بالخطأ في هذا الفريق؟! كل ذلك وهم اغبياء، ماذا إن كانوا يفكرون قليلًا؟؟ أكانوا انقلبوا عليه؟؟

حلّ المساء واستطاعت هند أن تتحجج بحجج واهية للخروج مع عفاف من المنزل قائلة إنهما ذاهبتان لشراء بعض التسالي، وبالفعل خرجا وتحركا صوب منزل أسامة وقبل أن تتوقف هند أمام المنزل لطرقه، شعرت بعفاف تجذبها بقوة كبيرة بعيدًا عن الباب وهي تقول بصوت مرتفع مريب:

- ياستي قولتلك ملناش دعوة بيهم، احنا هنشتري لينا بس ولو هما عايزين يبقوا يجيبوا لنفسهم.

رمشت هند بعدم فهم وهي تشير للمنزل ولم تكد تتحدث، حتى جرتها عفاف بقوة كبيرة كادت تسقطها ارضًا تقول بصوت خرج من أسفل أسنانها:

- يعني لو دخلنا عليهم وهما اتنين عزاب دلوقتي الناس تقول علينا ايه؟؟ متربيناش؟؟

لاحظت هند عيون عفاف التي كانت تتحرك مشيرة للخلف، لتدرك في ثواني احتمالية مراقبتهم، لذلك سارت معها دون جدال:

- أيوة صح عندك حق، احنا نروح نشتري لينا احنا وبعدين نرجع نقعد مع فاطمة في البيت ونسهر طول الليل.

ابتسمت عفاف لها براحة أن فهمت ما تقصده، وتحركت الاثنتان لأحد محلات البقالة وكل ذلك وأعين جابر تلاحقهما.

بدأت عفاف تأخذ بعض الاشياء العشوائية وكذلك هند التي كانت تنظر بطرف عينيها لجابر الذي كان يقف أمام المحل بشكل ظنه مخفيًا.

قضت الفتاتان وقتًا طويلًا على أمل أن يمل منهم جابر ويرحل، لكن لم يحدث ذلك؛ لذا تحركا خارج المكان بأكمله عائدين للمنزل يحاولون ايجاد طريقة للخروج.

تركهم جابر على باب المنزل، بعدما اطمأن أن لا شيء مُقلق بهم، بينما عفاف وبمجرد أن خطت للمنزل أطلقت تأففًا حادًا وهي تسب وتلعن بجابر، وهند جوارها كانت ملامحها واجمة بشكل جعل عفاف تتساءل:

- يا هند مالك عاملة كده ليه كأنك عايزة تقتلي حد؟! أنا عارفة إن الموضوع رخم بس مش لدرجة الملامح دي.

نظرت لها هند بشر تهمس من أسفل أسنانها:

- يعني عاجبك اللي حصل؟! عاجبك أننا شبه نفذنا اللي هو عايزة وخوفنا منه، احنا كده مش بس أنعشنا غروره الذكوري العفن، احنا كمان نزلنا راسنا ليه وقولناله بشكل غير مباشر أننا تحت امره.

تبالغ؟؟ ربما، لكن عفاف لم تكن تستوعب من حديثها كلمة واحدة، لم تع خطورة الأمر بتاتًا إلا عندما تحدثت لها هند الآن، حسنًا هي لم تع شيئًا سوى أن الأمر في منتهى الخطورة، لكنها بالطبع لا يمكنها قول ذلك لهند؛ لذا أطلقت شهقة فزعة:

- طب ازاي يا هند منبهتيش عليا طيب؟؟

زفرت هند تعيد خصلاتها القصيرة للخلف، ومن ثم نطقت بحنق شديد:

- لا طبعًا مش عاجبني، كان لازم نرفع راسنا ونمشي للبيت بتاع الشباب من غير ما نهتم بيه ويضرب هو دماغه في الحيط.

- طب والسرية؟!

- في ستين داهية، اهم حاجة ميحسش أنه انتصر علينا أو أننا خايفين منه.

الأمر تطور مع هند حتى أصبح خطرًا عليها هي نفسها، هزت رأسها، ثم سارت صوب البهو تتحدث بجدية:

- طب سيبك منه دلوقتي عايزين نخرج من البيت نعمل ايه؟؟

صدر صوتًا قريبًا منهما يتحدث ببساطة:

- اخرجوا من الباب.

استدارت كلتا الفتاتين صوب فاطمة التي نظرت لهما ببسمة شديدة وهي تحمل بين يديها طبق ملئ بالفاكهة وكانت في طريقها للغرفة:

- لو عايزين تخرجوا اخرجوا براحتكم، دي حتى البلد زي العسل وفيها اماكن حلوة اوي.

نظرت عفاف لهند وقالت بهدوء:

- أيوة احنا كنا فعلا هنخرج بس لقينا جابر واقف على الباب، وحسينا أنه مش صح نخرج في الوقت ده.

تناولت فاطمة حبة من العنب المتناثر أمامها في الطبق:

- طب ما تخرجوا من الباب الوراني..

ابتسمت هند بسمة واسعة:

- باب وراني؟؟

- أيوة هتلاقوا بيودي على شرق البلد كده، هو في آخر الممر بتاع المطبخ.

اتسعت بسمة عفاف وهي تشكر فاطمة التي قالت:

- تحبوا تأكلوا فاكهة؟؟ أبلة صفية جابت كتير وهى راجعة من عند اهلها.

انكمشت ملامح هند بتعجب:

- ابلة صفية؟؟

جذبتها عفاف بعيدًا عن فاطمة بعدما منحتها بسمة واستأذنت منها، ثم توجهتا للباب الخلفي وعفاف تقول بجدية:

- هقولك هي مين بس خلينا نروح لأسامة ونخلص من الاجتماع

ده على خير.

***

- هما اتأخروا كده ليه؟!

كان أسامة يسير في بهو المنزل ذهابًا وايابًا وهو يضرب كفيه ببعضها البعض، وقد ملّ تأخير الفتاتين، بينما جلال يتسطح بملل على الأريكة في المحاولة المائة بعد المليون للاتصال بأي أحد في ذلك المكان الغير مأهول.

زفر بحنق:

- انا زهقت، احنا هنخلص امتى المهمة دي بقي؟؟

حدق فيه أسامة بسخرية لاذعة، ليس وكأنه هو من يهوى تأجيل انتهاء تلك المهمة، وكأن أمرها كله بيده.

- تعرف يا اسامة، أنا لما يكون عندي فريق تحقيق زيك، مش هخلي المهمة تاخد في أيدينا اكتر من خمس ساعات.

أطلق أسامة صوتًا ساخرًا من حنجرته تبعه ضحكة عالية رنّ صداها في المكان بأكمله، حتى أن جلال انتفض يراقب المكان حوله بخوف واسامة يقول هازئًا:

- طب يا حبيبي ما تحل المهمة في خمس ساعات، حد مانعك.

- لا ما أنا بوفر جهودي وخبراتي لبعدين عشان استخدمها مع فريقي.

التوى ثغر أسامة ساخرًا:

- يبقى هتوفره كتير اوي، ومش بعيد تموت بالمخزون بتاعك كله، أو يحمض.

في تلك اللحظة ارتفع صوت طرقات على باب المنزل ليندفع أسامة لفتحه بسرعة كبيرة، كي لا ينتبه أحد على وجودهم في المكان.

وبمجرد دخول الفتاتين سارع بالتساؤل:

- ايه اللي اخركم كده؟؟

تحركت هند صوب البهو وهي تقول بغضب لم ينضب بعد:

- اللي اسمه جابر كان بيراقبنا واضطرينا نرجع البيت تاني ونهرب من الباب الخلفي، شكله كده شاكك فينا.

رفع أسامة حاجبه وهو يراقبها، قبل أن ينتبه لعفاف التي كانت تقف جوار الباب وهي تقول:

- هي ايه الريحة اللي في البيت دي؟؟

نظر لها أسامة بعدم فهم، بينما هي تحركت في المكان تحاول معرفة مصدرة تلك الرائحة التي اخترقت أنفها وبقوة كبيرة.

واسامة لا يدرك حقًا ما تتحدث هي عنه، لكنها فجأة توقفت حينما خفتت تلك الرائحة بقوة وعادت لهم وعيونها تحمل عدة نظرات غامضة جعلت الجميع ينظر لها بفضول:

- هو محدش فيكم شم الريحة اللي كانت موجودة من شوية؟!

تساءل جلال وهو يعتدل في جلسته بريبة شديدة:

- ريحة ايه بالضبط؟؟ دم صح؟؟ أنا والله قولت البيت ده مش مظبوط اكيد فيه ...

قاطعه أسامة وهو يشير له بالتوقف عن الحديث ودقق النظر لعفاف بنظرة غامضة:

- فيه ايه يا فوفا؟؟ ريحة ايه اللي شمتيها؟؟

تخصرت عفاف بسخرية منه:

- دلوقتي فوفا؟؟ وقت المصلحة فوفا وباقي الوقت مدام عفاف، صحيح على رأي هند شوية ذكوريين عفنيين.

هزت هند رأسها موافقة حديث عفاف، بينما أسامة تجاهل كل تلك الشعارات التي يحفظها عن ظهر قلب:

- سيبك من هند دلوقتي هي مش بتبطل كلام، دلوقتي قوليلي شميتي ايه اول ما دخلتي؟؟

حدقت بهم عفاف باستنكار:

- هو محدش فيكم شامم ريحة غريبة غيري؟؟

نظر لها الجميع بجهل قبل أن يقول جلال رافعًا يده في الهواء:

- أيوة فيه ريحة معفنة كده منتشرة هنا، متعرفيش ريحة كمكمة ولا ايه بالضبط، بس من وقت ما جينا وهي كده وجابر قال عشان الدنيا مكتومة هنا من سنين طويلة.

صمتت عفاف قليلًا وهي تشرد في اللا شيء، ليقترب منها أسامة مبتسمًا بمكر:

- شكلي هضطر اثق فيكِ للمرة التانية يا فوفا ولا ايه؟!

ابتسمت له عفاف بخبث وقالت:

- شوف مهما تلف مش هتلاقي غيري تثق فيه يا عو.

أنهت جملتها ثم نظرت حولها تقول بجدية:

- لما ريحة العفانة اللي قال عليها جلال تظهر تاني، عايزاكم تمشوا وراها وتعرفوا مصدرها، ويا حبذا لو جبتوا عينه من الشيء اللي خارجة منه الريحة دي.

تنهد أسامة يراقبها بفخر:

- احيانا والله يا مدام عفاف بحسك حاجة مهمة كده وذكية.

ابتسمت عفاف بتكبر وهي ترفع رأسها وهند جوارها تراقبها بحنق:

- أنتِ رافعة راسك كده ليه؟؟ بيقولك احيانا، ده بيهينك يا متخلفة.

- أيوة بس قالي أنى حاجة مهمة وذكية.

بصقت هند الكلمات في وجهها بضيق:

- ده أنتِ حاجة تشل يا شيخة.

صفق أسامة بيديه في الهواء ليجذب انتباههم، ثم قال ببسمة واسعة وجدية كبيرة:

- ودلوقتي يا حبايبي وفخري وسبب استقالتي القريب، عايز اعرف كل حاجة شفتوها خلال اليوم سواء مهمة أو غير مهمة.

وهكذا بدأ كل فرد في الفريق يعرض ما رآه من وجهة نظره فبدأ الأمر مع هند التي أشارت لجلال بجدية:

- أنا وجلال روحنا بيت اللي اسمه أشرف واللي ابنه هو الوحيد اللي اتقتل، وقابلنا مرآته واللي شكلها كان مريب الحقيقة ونظراتها مش طبيعية، وعرفنا منها أن ابنها كالعادة أصغر من عشر سنين، لقوه مقتول على الترعة، والأهم من كل ده واللي لفت انتباهي هو أنها ذكرت حاجة عن كلمات ورموز غريبة.

ضيق أسامة حاجبيه بعدم فهم ليسارع جلال يكمل الحديث:

- أنا هكمل بقي، هي قالت لما لقوا جثة ابنها مقتول كان فيه كلمات ورموز غريبة مكتوبة على جسمه وقبل ما تكمل كلامها أتدخل جوزها وزعق وكان باين عليه مش حابيها تتكلم في الموضوع.

امسك أسامة ذقنه يحاول التفكير فيما يمكن أن تفيدهم به تلك المعلومات، لكن قاطع كل ذلك صوت عفاف المتسائل:

- والكلمات دي يعني ايه؟؟ ممكن تكون يعني الخاطف أو القاتل شخص مهووس فبيحب يسيب علامات على جثث الضحايا مثلًا زي ما بنسمع ولا ايه بالضبط؟؟

أشارت لها هند تبدي موافقتها على ذلك الرأي:

- ده اللي فكرت فيه فعلا، بس بعدين قولت لو هو الموضوع كده، ليه معملش في الباقيين نفس الموضوع؟! لأن حسب اللي نعرفه

مفيش ولا واحد غير الطفل ده ظهر سواء حي او ميت.

قال جلال وهو يلقي بتخمينه في وجوههم:

- طب مش ممكن تكون دي منظمة زي عبدة الشيطان وبيضحوا بيهم مثلا وكده يعني؟؟ الموضوع مش مستبعد.

اتسعت أعين أسامة بقوة منبهرًا من عقل جلال، هل بدأ بالفعل يفكر في استقلاله عن الفريق وكانت خطوته الأولى هي استخدام عقله؟!

- ايه ده جلال بسم الله ما شاء الله انت بتتناقش معانا بكل جدية وبتقترح اقتراحات حلوة اهي.

ابتسم جلال بتكبر شديد:

- قولتلك أنى بوفر جهدي.

هز أسامة رأسه ثم نظر للجميع وقال:

- للاسف الشديد اقتراح جلال ممكن جدا وهو الأقرب للصح حسب اعتقادي، بس فيه جزء مش صح.

تمتم جلال متشنجًا:

- حقد بقي وغيرة.

نظر له أسامة بتحذير ليصمت، ومن ثم باشر هو بكشف ما فكر فيه:

- اللي بيعمل كده بالفعل منظمة مش شخص واحد زي ما عفاف

بتقول، لأن لو كان شخص واحد ازاي ممكن يخطف اطفال بالعدد ده لوحده ويأمن عليهم عشان يخطف غيرهم بدون ما يكون فيه حد هناك يحرسهم، وكمان فكرة عبدة الشيطان دي مش منطقية، لأنهم ناس مش بيحبوا يعلنوا عن قذارتهم بالشكل ده، هما لو عايزين يضحوا فهيضحوا ومش هيهتموا يرموا جثة بالشكل ده عشان نعرف، واظن احنا شوفنا الموضوع ده قبل كده..

صمت وكذلك الجميع، لا أحد يستطيع أن يحدد ما يمكن الاستفادة به من تلك الكلمات، وما غرضهم من رمي جثة واحدة فقط والاحتفاظ بالباقي، فإن كانوا عصابة لخطف الاطفال فلا فائدة لهم من خطف طفل والعبث في جسده وتركه دون أخذ أي منفعة.

تحدث أسامة بعد صمت:

- محتاجين نقعد مع ام الطفل ده تاني عشان نفهم اكتر عن حالة الجثة، يعني هل كان ناقص أي عضو فيكون الموضوع أعضاء ولما لقوا شوشرة في البلد بقوا يتخلصوا من الجثث بشكل تاني، ولا الطفل كان سليم فالموضوع بقي مجرد هوس بالتعذيب واغراض تانية؟؟

أضاف بعد صمت قصير:

- نركن المعلومة دي على جنب ونشوف اللي وصلنا ليه أنا وفوفا..

ابتسمت عفاف لذلك اللقب الذي يطلقه عليها بشكل عفوي وقالت:

- روحنا بيت الست اللي كانت بتتخانق مع العمدة امبارح، وهي كانت عدوانية شوية ومعرفناش نخرج منها بأي حاجة، بس ابنها

فادنا شوية ودلنا على شخص تاني بيقول أنه شاف الفزاعة.

كرر كلّ من هند وجلال الكلمة بعدم فهم:

- فزاعة؟؟

هز أسامة رأسه يضم ذراعيه لصدره:

- حسب قوله فالفزاعة دي هي الشيء اللي بيخطف الاولاد، ولما يظهر لطفل يبقى خلاص، ومن كلامه ميعرفش هى ست ولا هو راجل، مرة يتكلم بصيغة الذكر ومرة الانثى، ومحدش عارف شكل محدد، غير أن كريم صاحبهم شاف حد لابس اسود في اسود وهو بياخد واحد تاني.

عضت هند شفاهها بتفكير وهي تقول:

- كده اعتقد أننا محتاجين برضو زيارة لكريم ده ومحاولة أننا نعرف ايه اللي شافه وفين بالضبط واتحرك ازاي.

هز أسامة رأسه موافقًا وقبل أن يضيف كلمة أو يتحدث أحدهم بشيء ارتفع صوت طرقات عالية ومرعبة على باب المنزل تبعها صيحة جابر وهو يقول بصوته الجهوري:

- افتحوا الباب ....

الفصل الرابع

عزيزي أنت لست في المدينة الفاضلة لتتعجب وتُصدم من تصرفات بعض البشر حولك، وتضرب الأكفة حسرة مع كل خبرٍ يصل لمسامعك مردفًا بدهشة (كيف وصل حال الناس لهذه المرحلة؟؟) حسنًا هم ولدوا في تلك المرحلة من الأساس، لكن ربما أنت من سقطت في نوم عميق واستيقظت في عالمنا الموحش فجأة...

كانت الغرفة مظلمة، رطبة ورائحة العفن تفوح في كل مكان، لكن تلك الأجساد المترامية في الغرفة لم تكن منزعجة البتة من الروائح، فعندما تعتاد انفك رائحة القذارة، ستتعجب جمال رائحة المسك.

كان أحد الأجساد يجلس في ركن الغرفة وهو يدفن رأسه بين ركبتيه يحاول أن يُهدأ ارتجاف جسده، لا يعي ما حدث، هو فقط ذهب ليسبق شقيقه إلى المنزل حينما شعر بالعطش والتعب من اللعب، لكن أثناء مروره بأحد الأراضي الزراعية سمع أصوات غريبة، ولعلمه بما يحدث في تلك القرية بعد المغيب، ارتعب مجدي وركض بسرعة أكبر إلى منزله، لكن قاطع طريقه فجأة جسد يتشح بالسواد، عاد للخلف مرتجفًا بخوف حتى أنه بلل سرواله وهو يحاول فتح فمه والصراخ.

فجأة انقض عليه أحدهم من الخلف بسرعة كبيرة يكمم فمه رافعًا إياه بين يديه، لتتسع أعين مجدي بقوة يحاول الافلات من بين يديه، لكن أبصر الجسد الاسود يقترب منه وهو يهمس بصوت مخيف:

- اششش لو اتكلمت بحرف واحد مش هتلحق تنطق التاني، سامع؟؟

هبطت دموع مجدي بقوة وهو يشعر بقرب توقف قلبه من الرعب، أحد الأشخاص يحمله مكممًا فمه، و"الفزاعة " أمامه تلقي على مسامعه تهديدات مرعبة، عند تلك النقطة أعطى عقله الإشارة لجسده بالراحة ليسقط في إغماء سريع.

أفاق مجدي على صوت بكاء أحد الأطفال الذين يماثلونه بالعمر، والذي جاء لتوه، كان الطفل لا يتوقف عن البكاء والنحيب مطالبًا بوالدته، وحوله باقي الاطفال يرمقونه بيأس وكأنهم يخبرونه أنهم جربوا الصراخ والبكاء لساعاتٍ، بل لأيام طوال، لكن هل تراهم عادوا لدفء منازلهم؟؟

في تلك اللحظة فُتح الباب الخاص بتلك الغرفة وخطى لهم رجل لا يظهر من وجهه سوى عينين ووضع لهم صحن كبير ملئ بالطعام آمرًا إياهم:

- كلوا عشان مفيش أكل غيره لبكرة..

وبمجرد خروجه هجم جميع الأطفال على الطعام، فهذا هو سبيلهم الوحيد للنجاة من الموت جوعًا، بينما مجدي لم يتحرك من مكانه وهو ما يزال يحدق في النافذة الصغيرة التي تعلو أحد الجدران، يرى بعقله الطفولي أنها سبيله الوحيد للحرية، لكن ما السبيل لذلك السبيل؟؟؟

***

انتفض الأربعة بقوة من ذلك الطرق العنيف، واتسعت الأعين خوفًا أن يتم اكتشافهم على يد جابر وهم حتى لم يكملوا يومًا في تلك المهمة.

نظر لهم أسامة بأعين محذرة أن يختفوا عن الأنظار، لتسارع هند بجذب يد عفاف صوب أول غرفة قابلتهم في الطابق الارض، وجلال لحق بهم بسرعة مرتعبًا، ليمسكه أسامة وهو يضربه بغيظ شديد هامسًا:

- أنت رايح فين يا بلوة أنت؟؟ طب هما مش عايشين هنا وبيستخبوا، ولا أنت أي نيلة رامي روحك فيها؟؟

أجابه جلال بسرعة وهو يحاول الافلات منه والركض خلف هند وعفاف:

- هروح عشان أأمنهم.

ضربه أسامة بغيظ شديد دافعًا إياه صوب الباب الخاص بالمنزل:

- روح افتح الباب بدل والله ما هتلاقي حد يأمنك مني.

- طب ما تفتح أنت، اشمعنا أنا؟؟

نظر له أسامة بشر، ليتحرك جلال دون كلمة صوب الباب، حسنًا هو كان يتمتم بالعديد من الكلمات الخانقة المعترضة وبعض الاماني التي يأمل أن تتحقق وقد شملت امانيه تلك أن يدهس أسامة أسفل أقدامه يومًا ما.

نظر أسامة للغرفة التي دخلت لها الفتاتان يتأكد أنها مُغلقة جيدًا،

ثم نظر للباب حيث يقف جلال ومعه جابر الذي اقتحم المنزل يقول بجدية:

- مساء الخير يا دكاترة، لا مؤاخذة لو جيت في وقت مش مناسب.

اجابه أسامة بهدوء وبسمة صغيرة:

- لا أبدًا، براحتك ده البيت بيتكم واحنا ضيوف فيه، اتفضل يا جابر نقدر نساعدك في حاجة؟!

هز جابر رأسه شاكرًا:

- الله يكرم اصلك يا دكتور، أنا بس الجماعة كلموني

أن الواد ابني تعبان والمستشفى العام بعيدة على ما اروح اجيب دكتور وارجع يكون الواد حالته بقت اسوء، فلو يعني هتعبك معايا تيجي تبص عليه ولو فيه حقنة ولا اي حاجه اجيبها من الصيدلية لغاية الصبح.

وجلال لم يع من تلك الكارثة التي وقعوا بها سوى كلمة " الجماعة " التي نطقها جابر بعفوية شديدة مشيرًا بها " لزوجته "، وجلال الذي لا يحب أن يفوته شيئًا استفسر عن الأمر سريعًا:

- ايه الجماعة دي معلش وايه علاقتهم بابنك يا جابر؟؟ أنت تبع تنظيم القاعدة ولا ايه؟؟

نظر له جابر بجهل لما يقول، بينما أسامة حدجه بشر وهو ينغز خصره وقد شعر في لحظة أنه سأم جلال، سأم كل ما يتعلق بذلك

الغبي الذي لا يُحسّن من نفسه، بل ويحلم أن يترأسه يومًا.

ولم يكد يتحدث بكلمة حتى أضاف جلال بجدية:

- على العموم، استنى نجهز ونحصلك وانا بنفسي هكشف على ابنك متقلقش.

ابتسم له جابر يمطره بالعديد والعديد من الدعوات متحركًا خارج المنزل وأسامة يراقبه حتى استدار فجأة لجلال وهبط فوقه بالضربات والسبات:

- أنت مش هترحمني بقي لوجه الله، بعدين ايه انا بنفسي هكشف على ابنك دي؟؟ مفكر نفسك الدكتور مجدي يعقوب يا زبالة؟! يا جلال فوق أنت كنت ادبي ومتعرفش حاجة، هتروح تعمل ايه في الواد؟؟ بتورطنا في حاجة محدش فينا بيفهم فيها ليه؟؟

ابعد جلال يد أسامة عنه بغيظ شديد:

- ايه؟؟ يعني اعمل ايه؟؟ المفروض أننا دكاترة ونعرف كل ده، عايزني أقوله معلش أصل احنا مش دكاترة اساسا وأننا جايين نحقق في جرايم الخطف هنا يا قرية معفنة؟!

كمم أسامة فكه بقوة، ينظر صوب الباب بسرعة كبيرة وخوف من سماع جابر لهم، وقد اكتفى من كل ذلك، جر جلال صوب الغرفة التي دخلت لها الفتاتان وهو يصرخ:

- واد أنا جبت آخري منك، والله العظيم أولع فيك وفي نفسي وأخلص.

فتح الباب يلقيه بقوة للداخل محذرًا الجميع:

- متخرجوش الزفت ده لغاية ما امشي مع جابر، وبكرة نكمل كلامنا..

أنهى حديثه يتحرك خارج الغرفة مغلقًا إياها تاركًا هند وعفاف ترمقان جلال بغيظ وغضب مشتعل، لينهض الاخير ينفض ثيابه مبتسمًا بسمة جانبية:

- طبعًا خايف اسحب السجادة من تحته.

وفجأة توقف عن الحديث حين سحبته هند بقوة صارخة في وجهه:

- اقسم بالله يا جلال أما لميت لسانك اللي عايز قطعه ده لكون أنا اللي سحباه لبرة وقطعاه، رايح تتكلم وتقول إننا مش دكاترة يا غبي يا متخلف؟؟

- ايه ده؟؟ أنتم سمعتوا؟؟

ابتسمت عفاف ساخرة من ملامح الصدمة التي علت وجهه:

- ده الاموات سمعوا يا حبيبي، احنا بس ندعي إن سمع جابر يكون على قده وميكونش هو سمع.

فتح جلال فمه ليبرر ما قاله، هو فقط لا يقصد أن يوقعهم في ورطة أو ما شابه، هو تحدث كما يتحدث عادة بعفوية شديدة، لكن ماذا يفعل وهو من اعتاد على التحدث بصوت مرتفع؟!

تنهد بصوت مرتفع يجلس على أحد المقاعد في تلك الغرفة المليئة

بالغبار والعديد من الملايات البيضاء التي تغطي اثاثها:

- والله أنا مش غبي زي ما كلكم واخدين عني فكرة غلط، أنا ذكي في حاجات كتير، بس أنتم اللي مش عارفين تستغلوا دماغي، ومش عارفين تحطوني في المكان اللي يناسبني.

وبينما هو جالس على يد الأريكة مال بظهره متناسيًا أن لا شيء خلفه، ليسقط على المفرش الذي يغطي الاريكة ويسحبه كله أسفله.

في اللحظة التي سقط بها جلال وبدلًا أن تستقبله الأريكة، استقبلته أرضية صلبة جعلت صرخاته تصدح في المكان بأكمله.

في الخارج وحينما كان أسامة على وشك المغادرة مع جابر أوقفته صرخات جلال القوية، ليشعر بالريبة وهو ينظر لجابر الذي أشار للمنزل متحدثًا بجهل:

- مش حضرتك قولت إن الدكتور جلال هينام؟؟

هز أسامة رأسه بقوة ينظر للمنزل وهناك رغبة منه بالعودة للداخل، لكنه فقط ابتسم بسمة صغيرة بسيطة:

- تلاقيه وقع من على السرير ولا حاجة، أصل نومة جلال وحشة اوي اسألني أنا.

ضحك عليه جابر وهو يتحرك معه خارج جدران المنزل يتحدث معه بحرية شديدة:

- أيوة أنت هتقولي، عندي الواد عبد الرحيم الكبير زيه كده، طب ده انا في مرة جبته من ....

كان يتحدث ويتحدث وأسامة يدعي الانتباه مبتسمًا بسمة صغيرة، وكل فكره يدور حول سبب صرخات جلال، فهو يعلم جيدًا أن جلال من النوع الخائف، لكنه فقط يخشى أن يكون قد تأذى أو ما شابه.

انحرف أسامة شرق منزل العمدة يسير خلف جابر الذي دخل به لمنزل حالته كانت أفضل بكثير من حالة جميع منازل القرية، لكنه لا يُقارن بمنزل الشيخ أو حتى منزل عائلة فاطمة..

دخل المنزل بعدما أشار له جابر بذلك والذي ضرب كفيه ببعضهما يقول بصوت مرتفع:

- معايا ضيوف..

وفورًا أشار لأسامة أن يقترب معه صوب إحدى الغرف التي كان يستقر بها خمس صبيان وفتاة صغيرة، عرّفه عليهم جابر بأنهم ابناؤه من زوجاته الثلاثة.

اقترب أسامة من أحد الأسرة ليرى طفل يرتجف ويهمس بكلمات عديدة غير مفهومة، ليشعر بأن الأمر جاد ليس مجرد مرض خفيف قد يصف له أي مسكن، الطفل يرتجف حتى كاد الفراش يتحرك من قوة ارتجافاته، ولأول مرة يشعر أسامة بالخوف من شيء، لا يملك مساعدة لذلك الطفل ولا يستطيع النطق بذلك.

تظاهر لدقائق أنه يفحصه، يمسك معصمه ويحدق في ساعته، ويطالبه أن يفتح فمه احيانًا، ثم نظر لجابر الذي كان ينتظر منه كلمة تطمئنه:

- الولد مريض زيادة و. ومحتاج يروح مستشفى ضروري الأدوية مش هتساعد، هو محتاج محاليل وحاجات كتير ودي مش هتلاقيها غير في المستشفى.

حسنًا جيد أسامة ها أنت ذا تنجح في الأمر دون كشف جهلك بما تفعل.

نظر له جابر في استنكار تام، ثم جلس على فراش طفله يتحسس حرارته ليقول في رفض تام لاقتراح أسامة:

- مستشفى ايه يا دكتور، هو اكتبله الحقنة بتاعة السخنية دي بياخدها ويقوم زي الفل.

على الاستهجان ملامح أسامة، يجمع أدواته التي لم يستخدم منها سوى عصا لفتح فم الصغير فقط:

- أنت بتعمل ايه يا جابر؟! الولد عنده حمى شديدة، دي شكلها نزلة شعبية حادة.

بالطبع هو لا يدري كيف يتم تشخيص تلك النزلة، لكنه سابقًا أصيب بحالة أشبه بتلك الحالة الخاصة بالطفل وشخصه الطبيب بنفس الكلمات التي رددها منذ ثواني.

ويبدو من ملامح جابر أنه بدأ يهلع وهو يميل حاملًا طفله يردد برعب شديد:

- ودي حاجة خطيرة يا دكتور، يعني الواد هيكون كويس؟؟

هو حقًا لا يعلم، لكنه رغم ذلك هز رأسه يقول بجدية شديد:

- لو متعالجش بسرعة ممكن لا قدر الله المرض يزيد عليه ووقتها هيكون علاجه صعب.

تحرك به جابر والخوف قد بلغ منه مبلغه:

- لا وعلى ايه، أنا هاخده دلوقتي للمستشفى على طول.

ابتسم له أسامة، ثم تبعه نحو باب المنزل وعينه تتحرك على منزل جابر لعله يجد أي شيء قد يساعده صدفة، يراقب الجدران وتلك اللوحات التقليدية لبعض آيات القرآن وايضًا لوحة خضراء لا معنى لها، لا شيء منزل طبيعي كأي منزل.

خرج خلف جابر ليراقبه يصعد للسيارة وهو يقول:

- هتيجي معايا يا دكتور؟!

تنحنح أسامة بهدوء:

- لا يا جابر روح أنت، أنا عندي جرعات أحضرها عشان تطعيمات بكرة.

- تمام يا دكتور.

وبسرعة كبيرة تحركت سيارة جابر حاملًا معه طفله الذي يصارع مرضًا هو لا يعلم بشأنه شيئًا.

تنهد أسامة بصوت مرتفع يتحرك صوب المنزل ليرى ما حدث لذلك الاحمق، يقسم إن خرّب جلال شيئًا أو أثار أية متاعب لـ

توقف عقل أسامة فجأة عن التفكير وهو يبصر في نهاية الطريق الذي يؤدي لمنزل العمدة جسدًا يتشح بالسواد، أسرع المشي بخطى

شبه مهرولة يلتزم السرية حتى لا يتسبب في إخافة ذلك الجسد والتسبب في هروبه، لربما يكون هو نفسه تلك الفزاعة التي تحدث عنها شقيق مجدي.

اقترب بأقدام بطيئة حتى رأى الجسد يدخل لمنزل العمدة، كانت حركات ذلك الجسد واثقة لا يظهر عليها أي شيء مثير للريبة، لربما كان أحد الأشخاص يلتحف بذلك الشال الصوفي الاسود بسبب برودة الطقس، أو ربما هو الفزاعة؟؟

***

في المنزل ساعدت عفاف جلال لينهض والأخير يتأوه بقوة يحاول أن يتمسك بظهره وهو يصرخ:

- براحة ضهري براحة.

جذبته عفاف بقوة كبيرة لتعلو صرخات جلال أكثر وأكثر ويرن صداها في المكان بشكل جعل هند تضم حاجبيها بانزعاج شديد:

- اششش صوتك يا اخي، بطل ازعاج على المسا.

اعتدل جلال بصعوبة بسبب الآلام ظهره، يحاول الجلوس على الأرض مستندًا على تلك الأريكة التي سقط منها:

- ابقي جربي الوقعة دي وبعدين اتكلمي كده.

ختم جملته وهو يبحث عن هاتفه الذي كان في جيب بنطاله ليسجل تلك اللحظة التي يمر فيها بالعديد من المصاعب خلال عمله:

- فين تليفوني، حد يجيبه عايز اعمل فيديو عشان بعد ما أخلص

المهمة اجمعهم سوا.

نفخت هند باستهزاء شديد لترى الهاتف مستقر ارضًا في نفس المكان الذي سقط فيه جلال، أي في الأريكة التي لا تحتوي على مقاعد، بل كانت مُفرّغة من الداخل، مالت لتحضره متهكمة:

- ومالو يا حبيبي، بس الله يكرمك متنساش وانت بتجمع الفيديوهات تقول إن المهمة كانت هتخرب بسببك كام مرة، ده إذا مخربتش على ما توصل لـ

توقفت عن الحديث فجأة حينما التقطت الهاتف، اعتدلت في وقفتها ببطء وهي تحدق بشكل مطول على الأرضية التي تقع أسفل الأريكة، ثم نظرت في أرضية الغرفة بكاملها، وكررت تلك الحركة أكثر من مرة لتثير ريبة الاثنان، حيث انتفض جلال متغلبًا على وجعه:

- ايه التليفون انكسر؟!

نفت هند برأسها وهي تشير للأرضية:

- فيه حاجة غريبة هنا.

حدق الاثنان حيث تشير واطالوا النظر ثواني قبل أن تقول عفاف بتخمين:

- الأرض نضيفة ومش عليها عفارة؟؟

رمقتها هند بسخرية لاذعة وهي تشير للأرضية خلفهم، ومن ثم أشارت للأرضية أسفل الأريكة توضح ما تقصده دون ألغاز قد تصعب

على هذين الاثنين:

- البلاط مختلف.

أعاد جلال عيونه صوب الأرضية مجددًا، ثم مال يجلس القرفصاء يتحسسها، ثم تحسس الخط الفاصل بين كل جزئية من السيراميك والآخر، ليرفع رأسه ويقول بجدية:

- السيراميك ده جديد، معداش عليه اسبوع، لسه الوش الخشن بتاعه زي ما هو والدهان اللي بين الفوارق لسه جديد.

نظر الثلاثة لبعضهم البعض بجدية قبل أن يبادر جلال ويقول باهتمام شديد:

- معقولة يكون فيه مخبأ سري تحت الأرض؟!

فكرت هند قليلًا قبل أن تقول بجدية:

- لو زي ما أنت بتقول كده، ليه هيحطوا سيراميك ويبلطوه، ما كانوا حطوا باب خشب وريحوا دماغهم أو غطوا المدخل بالكنبة وخلاص، أصل اكيد مش كل مرة هينزلوا المدخل هيكسروا السيراميك ويركبوه تاني..

مالت بجسدها لتجلس نفس جلسة جلال وتضغط على الأرضية، ثم طرقت عليها مضيفة على حديثها السابق:

- ولو زي ما قولت فيه فعلا مدخل في البيت ده، ليه خلوكم تناموا فيه؟؟ اكيد يعني مكانوش هيغامروا بالشكل ده، كان ممكن ببساطة يشوفوا ليكم أي اوضة وخلاص.

انضمت لهم عفاف في نفس الجلسة ليتجمع الثلاثة حول بقعة الأرضية المختلفة، وعفاف تعطي تخمينها:

- أو يمكن اللي جابهم هنا واللي هو نفسه شيخ القرية ميعرفش أي حاجة بخصوص البيت ده، عشان كده مفكرش يداري شيء أو غيره.

صمت الثلاثة وبدأت الأفكار تدور في رؤوسهم بشكل جدي وعلى باب الغرفة كان أسامة مستندًا على الجدار يراقبهم بفخر وقد كادت أعينه تسيل بالدموع، لا يصدق أن سرب البط خاصته يفكر في أمر بشكل جدي، يشعر أن قلبه سينفجر من السعادة.

- يا حبايبي بابا أسامة فخور بيكم والله، أنا دمعتي هتفر من عيوني.

وبسبب حديث أسامة المفاجئ في لحظات تفكير الثلاثة وشرودهم سببت فزع لهم جعلهم ينتفضون بهلع صارخين صرخات هزت جدران المنزل بأكمله.

اقترب منهم أسامة يهز رأسه بيأس، لا فائدة منهم حقًا.

وضعت عفاف يدها على صدرها تحاول تنظيم ضربات قلبها:

- ايه يا عو مش تقول احم ولا دستور يا خويا؟؟ كده كنت هتوقف قلبنا.

جلس أسامة نفس الجلسة جوارها يهمس لها بلطف وحنان:

- سلامة قلبك يا فوفا.

ابتسمت عفاف بسمة واسعة لتلك الكلمات التي أطرب سمعها بها، وهو منحها غمزة صغيرة، ثم نظر للجميع يقول بجدية:

- كل اقتراحاتكم مقنعة، وكلها ممكن تكون صحيحة، وبما أن البيت ده مريب ومليان حاجات كل شوية تتكشف لينا، فاحنا من بكرة هنحطه في خطتنا وندور فيه على أي شيء ممكن يفيدنا.

نظر لجلال يقول بجدية:

- جلال أنت معاك عدتك صح؟؟

اومأ له جلال بإيجاب ليبتسم له أسامة ويردد بغموض:

- تمام من بكرة تبدأ تشيل السيراميك ده وتعرفلنا ايه اللي تحته، وتمر في البيت ده بلاطة بلاطة وتعرف إذا كان فيه فعلا مخبأ تحت أو لا.

ابتسم جلال باتساع، واخيرًا سيفعل شيئًا يتقنه ويحبه ويتميز به عن الباقيين.

أكمل أسامة:

- هند هتروحي بكرة لبيت أشرف وتحاولي تتكلمي مع مرآته بأي حجة، مثلا تعتذري منها عن آخر مرة وإنك حسيتي أنكم عملتم ليها مشاكل، وأنك حاسة بالذنب عشان هي ست فيه واحد ذكوري متعفن جاي عليها، مش انا اللي هقولك برضو إن المرأة للمرأة يا هند.

ابتسمت هند باتساع وقد على ثغرها بسمة ماكرة:

- ولو يا عو، اعتبره حصل.

نظر أسامة واخيرًا لعفاف يقول بجدية:

- فوفا هتيجي معايا نكمل تطعيمات وندور على اللي اسمه كريم ده، لازم نعرف منه الفزاعة دي راجل ولا ست عشان أنا من شوية شوفت حاجة وحابب أتأكد منها.

نظر له الجميع بفضول، وأسامة شرد في ذلك الجسد المتشح بالسواد والذي كان في تكوينه يعطيه مظهر رجل لا امرأة، فإن كانت تلك " الفزاعة " امرأة فهذا يلغي احتمالية ما يشك به.

أخرجته عفاف من شروده:

- تتأكد من ايه يا عو؟؟ هو حصل حاجة وأنت مع جابر؟؟

فرك أسامة ذقنه قليلًا يحاول ترتيب كلماته:

- وانا جاي شوفت في اخر الشارع اللي بيودي على بيت شيخ القرية شخص لابس اسود في اسود وماشي ناحية البيت بتاع الشيخ، بس شكل تكوين الجسم بتاعه أنه راجل مش ست.

أفضت هند بأفكارها كالعادة وهي تعطي حلول جديدة:

- ما يمكن يكون شخص عادي لابس اسود، ليه تفترض أنه المجرم؟؟ خاصة أننا انهاردة مسمعناش إن فيه حد اتخطف..

- ما ده اللي أنا حابب اتأكد منه يا هند، عايز اعرف هوية الفزاعة دي واعرف هل البيت ده ليه علاقة بالمهمة ولا مجرد شكوك وخلاص، احنا في شغلنا بنمسك ونتعلق في أي خيط يقابلنا.

هز الجميع رؤوسهم بإيجاب قبل أن تبادر عفاف بالاستفسار:

- كده لو صدق وطلعت الفزاعة راجل وأن الشخص اللي أسامة شافه هو نفسه المجرم، يبقى كل الرجالة في بيت الشيخ مشكوك فيهم من اول الشيخ لغاية أصغر واحد في الغفر بتوعه.

- بالضبط يا فوفا مع استثناء صغير لجابر لأنه في الوقت ده كان في المستشفى مع ابنه، ومع ذلك مش هنستثني حد من الحوار، الكل مدان لغاية ما نلاقي دليل يثبت برائتهم، واضح؟!

رددت الجميع بحماس شديد وقد بدأ الأمر يزداد متعة خالصة اهم:

- واضح يا عو ...

في اليوم التالي.

كان يقف أمام المنزل يحمل الحقيبة الخاصة بالجرعات أعلى ظهره ينتظر وصول عفاف له، وأثناء ذلك لمح بعض الفلاحين يحملون خلف ظهورهم قفطان ويتحركون في الشارع الملاصق للمنزل ويبدو أنهم ذاهبون للعمل بكل تلك الأدوات معهم، وتلك القطع القماشية التي يخفون بها وجوهم كما جرت العادة مع هؤلاء الكادحين، وكذلك لمح أسامة طفل يقفز ويمرح بين الطرقات، ابتسم له الطفل فجأة ليرفع له أسامة يده ملوحًا بها بحب.

- دي اول مرة اشوفك بتتعامل مع طفل يا عو.

استدار أسامة لعفاف التي توقفت جواره ترمقه ببسمة صغيرة جانبية جعلته يهز رأسه وهو يشير لها بالتحرك:

- عادي يا عفاف أنا يعني مش صخر، اكيد بحب الاطفال، بس الفكرة أن بعض الأطفال مزعجين زي جلال كده.

أطلقت عفاف ضحكات عالية جعلته ينظر في الطرقات حولهم محذرًا إياها من صوت ضحكته الصاخب، وهي لم تستطع التوقف تتخيل أنه يرى جلال طفل:

- جلال؟! هو يعني عشان أصغر منك بكام سنة تقول عليه طفل؟؟ على كده شايفني أنا كمان طفلة يا عو؟؟

نظر لها أسامة ثواني قبل أن يبتسم ويعود بنظره للطريق يداعبها ببعض الكلمات الممازحة:

- عايزة الحق؟! أنا كنت دايمًا شايفك مدام عفاف موظفة السجل المدني بحلة المحشي بتاعتك والملوخية اللي مالية المكتب.

توقفت عفاف عن السير فجأة ليشعر بها أسامة وينظر لها بتساؤل، ولأول مرة يرى حزنًا في عيونها جراء مزحته المعتادة لها، اقترب منها الخطوات التي سبقها بها:

- مالك يا عفاف؟!

- أنت هتفضل طول عمرك بتبصلي البصة دي يا اسامة؟؟ هتفضل طول الوقت شايفني كده؟؟ عمرك ما في مرة هتشوفني زوجة أو خطيبة أو حبيبة صح؟؟ وعشان كده بتبعد عني؟؟

اتسعت أعين أسامة بقوة من تلك الكلمات التي أطلقتها في وجهه، تلك الغبية ما الذي تقصده من أنه لا يراها زوجة أو حبيبة؟؟ هل جعلها مخطوبته شفقة؟! تلك الفتاة لا ترى أنه كالأحمق يبحث عنها

في كل الوجوه حوله فقط ليطمئن؟؟

ولم يكد يفتح فمه لتسبقه عفاف وهي تنفخ بصوت مسموع تردد بسأم وقد ملت الأمر برمته، تتحدث دون تفكير:

- لو حابب بعد ما المهمة تخلص تفسخ أنا موافقة.

وتلك الكلمات وقعت أعلى رأس أسامة لتصيبه بصدمة قوية، ركض في أثرها ينادي باسمها غاضبًا:

- عفاف.. عفاف اقفي كلميني، يعني ايه نفسخ الخطوبة؟؟ أنتِ عبيطة؟؟

ولم تكد عفاف تتوقف لتجيبه، حتى سمع الاثنان صوت صرخات عالية صادرة من إحدى الجهات، ولم يكن الأمر سيعنيهم لو أن تلك الصرخات كانت لأحد آخر غير هند.

احتدت أعين أسامة وهو يركض كالمجنون بين الطرقات بحثًا عن مصدر تلك الصرخات، وعفاف تركض خلفه بخوف شديد ...

***

قبل ساعة من كل ذلك.

خرجت هند من المنزل تحمل جزء من الجرعات تبحث بعيونها بين المنازل عن منزل ذلك الاشرف، حتى وجدته، تنفست بصوت مرتفع تقترب منه مستغلة أن أغلبية الرجال في العمل في هذا الوقت.

طرقت الباب تنتظر ردّت ليأتيها صوت تلك المرأة المسماة نجاة، ابتسمت باتساع شديد تتجهز لافتتاح الحديث معها وجرها إلى

حيث تريد، ومن أفضل من هند لتفعل ذلك؟!

وبمجرد أن فتحت الباب قابلها وجه نجاة المكدوم والذي جعل أعينها تتسع:

- ايه ده؟؟ مين اللي عمل فيكِ كده؟؟ جوزك؟!

سقطت دموع نجاة كالطفل حينما يسأله أحدهم عما حدث له، لكن ورغم كل ما بها أبت إلا أن تنأى بنفسها عن أعين هند وهي تقول بصوت مختنق:

- مفيش عيال هنا، كلهم مع ابوهم في الشغل.

نظرت هند خلفها قبل أن تدفع الباب وتدخلها عنوة لمنزلها، تغلق الباب خلفها تتحدث بصوتٍ خافت نادمٍ:

- اسمعي أنا كنت جاية عشان اعتذرلك على آخر مرة لأني حسيت أننا سببنا ليكِ مشاكل مع جوزك، لكن المنظر اللي على وشك ده بيقول أن اللي حصل كان أكبر من مجرد مشاكل.

نظرت لها نجاة نظرات مكسورة أصابت هند في مقتل، لعبت على أكثر اوتارها حساسية، هبطت دموع نجاة وهي تحاول أن تتمالك نفسها:

- عادي مشاكل بتحصل لأي حد، بعدين لو سمحتِ لو مش هتعملي حاجة اتفضلي عشان جوزي كل شوية بيرجع البيت وممكن يشوفك.

ابتسمت هند بسمة جانبية تقول بجدية كبيرة:

- معنى أنك عايزاني امشي قبل ما جوزك يجي، إن المشاكل دي مش مشاكل بتحصل لأي حد، لا دي متعلقة بيا صح.

نظرت لها نجاة ساخرة ولا تدري كيف استطاعت تلك الفتاة استنباط الأمر بهذه السهولة من خلال كلماتها المبعثرة:

- هو جوزي عامة بيكون عنده مشاكل مع أي حد غريب، مش بيحب حد يدخل البيت أو نتكلم من حد من وقت اللي حصل لابننا.

وها هي تخطو للمنطقة التي تدور حولها هند منذ وطأت المنزل، لذلك اقتربت منها هند ببطء تحاول ألا تبدي اهتمامًا زائدًا بالأمر:

- أيوة وده ليه؟؟ هو مش ابنكم زيه زي أي طفل اتخطف هنا، ليه خايف بالشكل ده من أن حد فيكم يتكلم؟!

ومن شدة الحسرة التي تملكت قلب تلك السيدة قالت بكره وبغض شديد:

- عشان محدش سكت وحط راسه في التراب غيره ولا حد سكت عن اللي بيحصل وعمل نفسه الموضوع ميخصوش غيره، عشان شيخ البلد قبضه وسكته..

اتسعت أعين هند بقوة، حسنًا هذه نقطة جديدة أخرى قد تفيدهم، لكنها لم تفرح بذلك الانتصار الصغير وهي تنهل المزيد والمزيد منها:

- طيب ...طيب اشمعنا يعني؟؟ من بين كل الأهالي شيخ البلد يراضيكم أنتم؟؟ ولا هو راضي الكل؟!

ابتسمت نجاة بسخرية تتحرك لتجلس على أحد المقاعد بعدما

فشلت قدمها في حملها فترة أطول، فتلك امرأة قد اضناها الحزن وأضعفها القهر:

- لا مدفعش لحد غيرنا، أصل محدش فيهم أتأكد أن ابنه مات غيرنا، ابننا كان أول واحد يتخطف من البلد وبعدها بأربع ايام لقيناه مرمي على الترعة وجسمه كله مليان رموز غريبة وكلمات اغرب.

حاولت هند أن تدرس كل ذلك في عقلها سريعًا كيف تطرح سؤالها التالي، تريد فقط أي شيء قد يضعها على بداية خيط الوصول للمجرم، أي إشارة قد تخبرها بضحيته التالية:

- كان فيه أي... أي حاجة ناقصة في جسمه يعني مثلا يكون حد خطفه عشان أعضاء وكده؟؟

بكت نجاة لا تريد أن تتذكر شيئًا، لا تتذكر متى وقعت تلك الكارثة أعلى رأسها حقًا لكنها فقط قالت:

- لا هو جسمه كان عادي بس كان مكتوب عليه كلمات غريبة.

ورغم أن الأمر كان واضحًا من أن هند تحقق معها، وليس مجرد حديث عفوي بين امرأتين، إلا أن صدمة نجاة ومصيبتها جعلاها لا تحسن التفكير في الأمر، هي فقط كانت تبحث عمن تفضي له بحزنها عدا اولادها الذين لا يفقهون من الحياة شيئًا.

- أنا بس كنت عايزة حق ابني من اللي عمل فيه كده، هو ده كتير يعني؟؟ ليه مش عايز يعافر عشان حق ابنه؟؟ خايف من الشيخ والقرشين اللي سكتهم بيه، نفعته في ايه الفلوس دلوقتي؟؟

اقتربت منها هند تضمها بمؤازرة وحزن لأجلها وقد شعرت بالجوع

لمصابها، أخذت تربت على ظهرها بحنان شديد:

- متقلقيش بكرة حق ابنك يرجع، صدقيني بكرة اللي عملوا فيه كده هياخدوا جزائهم.

بكت نجاة أكثر وهي تنتحب بين أحضان هند:

- يارب أنت المنتقم يارب ورِيني فيهم يوم واحرق قلوبهم زي ما حرقوا قلبي.

ربتت هند أعلى ظهرها ولم تكد تتحدث بكلمة حتى سمعت صرخة خلفها تصدح بين جدران المنزل بأكمله:

- أنتِ بتعملي ايه هنا؟؟

ومن هنا قامت الحرب بين هند التي وجدتها فرصة تفرغ جام غضبها على رأس ذلك المتجبر الذي يعرض قوته مقابل انثى لا حول لها ولا قوة.

وخلال تلك المشاجرة العنيفة لم تبصر شيئًا حولها سوى ذلك الرجل الذي هبطت فوق رأسه تصرخ وتسب وتلعن في بني جنسه:

- كلكم كلاب، كلكم بتستقوا على الست عشان تفرضوا قوة وهمية يا شوية ذكوريين.

في تلك اللحظة لم تر سوى ظهر أسامة الذي تدخل ليحيل بينهم ويبعد عنها أشرف وهو يقول بعنف موبخًا إياها:

- خلاص يا هند، ايه اللي بتعمليه ده؟؟

أشارت له هند صارخة بغضب جحيمي:

- الحيوان ده بيستقوى على نجاة.

على الغباء ملامح أسامة:

- نجاة مين بالضبط؟؟

أشارت هند لنجاة التي كانت تبكي بعنف:

- نجاة مرآته.

صرخ أشرف بقوة أكثر وهو يحاول الاندفاع لضربها لولا جسد أسامة الذي كان يفوقه قوة:

- اديكِ قولتي، مراتي، يعني أنتِ مالك بينا؟!

حاولت عفاف التدخل في الأمر:

- خلاص يا استاذ أنت هدي نفسك، هي بس صاحبتي بتتعصب كل ما تشوف واحد منكم جاي على واحدة، والصراحة عندها حق أصل أنتم جنس ميتعاشرش.

كانت تتحدث وهي تُلمح بكلماتها الأخيرة على اسامة الذي رمقها بصدمة، وهي أبعدت نظرها عنه، بينما أشرف أخذ يسب الجميع بمن فيهم عفاف وهند وأسامة ويلعن في جميع النساء، ليزداد غضب أسامة وهو يدفعه للخلف بقوة صارخًا في وجهه:

- ما قولنا خلاص خلصنا، ايه هتمد ايدك على ست؟؟

اندفعت هند تتحدث بقوة:

- ما هو عملها ومد أيده على نجـ

حدجها أسامة بقوة صارخًا وقد سأم كل ذلك حقًا:

- هند خلاص خلصنا..

***

يجلس على الأرضية يحمل بين أنامله أدواته الخاصة يحاول إزالة الأرضية كما طلب منه أسامة.

يمسح ذرات العرق عن جبهته وهو ينفخ بتعب شديد وقد مكث لساعات يحاول إزالة أغلبية الأرضيات في المنزل دون أن يُعرضها لأي كسر أو شيء قد يدل على محاولة عبث بهم، يستخدم أدواته التي أحضرها معه في محاولة إزالة تلك الأرضية.

واخيرًا استطاع رفع أول قطعة ببطء شديد وهو يبتسم بسمة واسعة، لكن ما كاد ينتزعها بشكل كامل حتى سمع صوتًا خلفه يصدح مصطحبًا بشهقة عالية:

- أنت بتعمل ايه؟؟؟؟

***

الفصل الخامس

فقط حينما تتأزم الأمور، وتشعر أنك بين المطرقة والسندان، فما لك من مهرب سوى الثقة، تسلح بثقتك واعتمد على مهاراتك في الفرار من أي موقف.

وهذا ما حاول جلال أن يفعله في تلك اللحظات، حينما سمع صوتًا خلفه يهتف بتلك الجملة التي بعثرت كل تماسكه.

ابتلع ريقه يحاول أن يتسلح لمرة في حياته بالثقة، لكنه فشل كعادته وهو يستدير ببطء قائلًا ببسمة غبية:

- أصل.. أصل هو الأرضية هنا لقيت فيها حتة مكسورة وقولت أصلحها، أصل انا بعرف في الحاجات دي، واعتقد دي ابسط حاجة نعملها عشانكم يعني.

كان يتحدث وهو ينظر لتسنيم التي رمقته ثواني بشك سرعان ما تحول لبلاهة:

- بجد والله بتعرف تصلح الحاجات دي؟! طب الله يكرمك لما تخلص تيجي تصلح البلاطة المكسورة في مطبخ الشيخ لأحسن كل شوية توقعني على جدور رقبتي.

بلهاء إذن، هذا جيد، أن تتعامل مع شخصٍ يفوقك غباءً لهو أمرٌ مريح بعض الشيء، اعتدل جلال في وقفته يستند على الجدار جواره بتكاسل، يسبل عينيه بغزل:

- عيوني ليكِ يا... توتا.

كانت يتحدث بنبرة لينة مغازلة يمارس سحره -الذي لا يراه غيره- عليها، يعلم في نفسه أنه إن زاد تأثيره قليلًا فقط سوف تسقط ارضًا مغشيًا عليها.

وكل تلك الأفكار التي كان محلها الوحيد عقل جلال، ترجمتها عيناه لتسنيم؛ تلك الفتاة البلهاء لتشعر بالخجل يسري بين أوردتها:

- تسلم يا سي جلال.

ابتسم جلال بسمة بلهاء تنافس بلاهة تسنيم ليقول بسعادة كبيرة ملئت صدره من كلماتها:

- صحيح كنتِ جاية هنا ليه؟؟

- أنا كنت جاية عشان اروق البيت، قولت تلاقيكم خرجتوا عشان التطعيمات من بدري، فجيت عشان أخلص الشغل سريع سريع.

كانت تتحدث وهي تتحرك خارج الغرفة التي تعجبت في البداية سبب فتحها، بدأت تسنيم تجمع الاشياء المتناثرة ارضًا وتضع كل شيء في مكانه الاصلي وخلفها يلتصق بها جلال كالطفل بوالدته.

- أنتِ شغالة في بيت الشيخ ده من امتى يا تسنيم؟؟

ابتسمت تسنيم تجيبه باندماج شديد وقد شعرت بالألفة الشديدة في حديثها معه، فهي منذ سنوات طويلة لم تتحدث مع أحدهم:

- من وقت ما كنت عيلة، جيت مع امي عشان اشتغل في البيت ولما ماتت، ستي فاطمة الله يكرمها أصرت أنى اشتغل معاها.

ابتسم جلال يجلس على أحد المقاعد، يراقبها وقد قرر استغلال

ذلك الحوار لمعرفة كل ما يريده، عله يخرج بمعلومة قد تفيده في المهمة، أو بالأحرى قد تجعله يتميز على جميع من بالفريق.

- يعني تعرفي كل حاجة عن البيت بتاع الشيخ ده؟؟

نظرت له بتعجب:

- أيوة يعني تقدر تقول كده.

- طب ما تحكيلي شوية كده عنهم، أصل انا عندي فضول يعني، سمعت أنه متجوز اتنين ده صحيح؟!

ودون أي تفكير فيما تفعل بدأت تسنيم تندمج في الحديث مع جلال الذي كان يدوّن كل ما تنطق به.

- أيوة الشيخ متجوز ستي صفية دي مراته الأولى، ست قوية ومفترية، وبعدين لما قعدوا سنين من غير عيال قرر يتجوز ستي فاطمة ودي واحدة على الله خالص، ودايما صفية تيجي عليها وتبهدلها.

صمتت ثواني، ثم نظرت له وقالت تمتص شفتيها بحسرة:

- بس برضو يا حسرة عليها ستي فاطمة كمان ربنا مكتبش ليها خلفة، وبيني وبينك يا سي جلال، أنا حاسة كده إن صفية دي دست ليها عمل ولا حاجة عشان متبقاش ام الواد.

رفع جلال حاجبه يفكر في كل تلك الكلمات، وكأنه يستمع لإحدى القصص القديمة.

- طب وجابر ده؟؟ يعرف الشيخ من زمان؟؟

نظرت له وهي تقول بصوت منخفض وكأن هناك متربص بهم في الجوار:

- أيوة سي جابر مع العمدة من وقت ما كان عيل صغير لا له أهل ولا بيت، بدأ يشتغل معاه وشوية شوية بقي أيده اليمين في كل حاجة ويعرف عنه أي حاجة تتخيلها، هو وشيخ الجامع.

شخصية جديدة أخرى وضيف آخر يُضاف لهم.

- شيخ الجامع؟؟ ده غير شيخ القرية؟؟

ضحكت تسنيم وهي تحمل قطعة قماشية تقوم بتنظيف اللوحات والقطع الأثرية أمامها تقول بتوضيح:

- شيخ القرية ده لقب احترام بنقوله على العمدة، أصل من زمان اللي كان مالك القرية دي وكل أراضيها كان واحد من شيوخ الأزهر، وهو اللي أسس القرية وعشان كده اتسمت قرية الشيخ عليه هو، وبقي أي حد يمسك العمودية نقوله شيخ البلد.

صمتت ثم نظرت له وقالت:

- إنما شيخ الجامع ده، هو الشيخ اللي بيخطب في الجامع ويصلي بالناس، وهو صاحب شيخ البلد الروح بالروح ومش بيفارقوا بعض معظم الوقت.

صمت جلال يفكر في حديثها جيدًا يحاول أن يخرج منه بأي شيء قد يفيده، لكن ذلك لم يكن تخصصه، فهو ليس أسامة أو هند ليبحث بين الأسطر عما يفيده.

نظر لها ثم فكر في سؤال تعباني ماكر، إن وجد له أجابه، قد تنحل كل خيوط تلك المهمة، لذا قال بجدية كبيرة يتذكر كلمات أسامة البارحة حول رؤيته لشخص مشكوك به يتحرك ناحية منزل شيخ القرية:

- قوليلي يا تسنيم، مين في بيت العمدة عنده طقم اسود؟؟

***

كان الثلاثة يقفون على جانب الطريق أسفل إحدى الأشجار، وعلامات الغضب بارزة أعلى وجه أسامة وهو يوبخ هند التي كانت مستمرة في عنادها وهي تردد أنها لم تخطأ معه.

رفع أسامة يده وود لو يهوى بها على وجهها، لكن هند لم تتحرك من أمامه تقول بجدية وحنق شديد:

- إيه هتضربني أنت كمان؟؟ ما هي خلاص، بقي أي راجل عنده شنب معفن يستقوى على الستات.

تحسس أسامة أعلى فمه بسرعة، بينما هند لم تتوقف عن الحديث:

- كون أنك راجل ده ميدكش أي حق تستقوى على الست، لأنها مش كائن ضعيف هش زي ما خيالكم المريض مصور ليكم، لا فوقوا زمن الضعف والانهزام خلص مع انتهاء فترة الاستعباد والجواري.

كانت تتحدث وتتحدث وعفاف تقف جوارها تستمع لها بكل جدية وهي تضم يديها وتحرك رأسها صعودًا وهبوطًا توافقها الرأي حتى وإن لم تفهمه.

نظر لها أسامة بسخرية لاذعة:

- أنتِ بتهزي راسك ليه؟! فاهمة اللي هي قالته؟!

نفت عفاف بصراحة مطلقة:

- لا بس حاسة أنها بتقول حاجة هتنفعني بعدين، خلي بالك كل ده وهي متعرفش أنت عملت ايه، بالك لما تعرف هتعمل فيك ايه؟!

رفع لها أسامة حاجبه متشنجًا ثم اقترب منها هامسًا:

- عفاف...

- نعم يا عو؟؟

ابتسم يقول بصوت خافت غامض:

- شايفة الحيطة اللي وراكِ دي؟؟

نظرت عفاف حيث يشير لتجد جدار نقش عليه بعض كلمات الغزل التي ربما كتبها أحد المراهقين لحبيبته، لتكبت هي بسمة كادت تفلت منها:

- أيوة مالها يعني؟؟

ضرب أسامة كتفها بخفة شديد:

- خدي هند وروحوا اخبطوا دماغكم فيها أنتم الاتنين.

اشتعلت عين عفاف وهي تراه يتركهما ويرحل وهي ما تزال واقفة بصدمة مكانها، بينما هند تنفست بصوت مرتفع تشعر أنها لم تخرج بعد كل غضبها، تريد أن تعود للرجل وتكمل شجارها معه.

وفجأة أفاقت من كل ذلك على صوت أسامة الذي قال بصوت مرتفع غاضب:

- ورايا أنتم الاتنين بدل ما ارجعلكم افرجكم كيف يكون التعنت الذكوري على حق الله

وبالفعل ركض الاثنان خلفه بسرعة وقد قرر أسامة أن يستكمل معهما رحلته في البحث عن ذلك الكريم الذي يبدو كما لو أنه شبحًا لا يعلم عنه أحد شيئًا..

ارتفعت الزفرات في المكان وقد بدأ الجميع في تلك الغرفة يشعر بالسأم، طالت تلك اللعبة وازدادت وتيرتها واتسعت حتى كادت تشمل الجميع، الكل غاص في قذارة ذلك الأمر، حتى وإن أبوا في البداية فقد فعلوا الآن.

ثلاثة رجال وامرأة، الجميع يجلسون مجتمعين حول طاولة مستديرة في منتصف غرفة ذات جدران متهالكة بعض الشيء، لكنها بالطبع كانت أفضل حاليًا من تلك التي يُسجن فيها الاطفال.

نظر أحد الرجال لمن يتوسط المجلس وقال معترضًا:

- مكانش ده اتفاقنا من الاول، أنت قولت عايز تسعة وجبنالك تسعة.

ضغط الرجل الأكبر على العكاز أسفل قبضته وهو يدور بعينيه بين جميع الوجوه:

- والاتفاق اتغير، اقولهم لا مينفعش؟؟ اللي بيتقال ليا ببلغه ليكم

من غير ولا كلمة، أصل انا هستفاد ايه يعني لما يبقوا عشرة ولا ١٥؟؟ هو أنا هاخدهم ليا.

ارتفعت زفرات امرأة في المكان تتحدث بحنق شديد وصوت حاد بعض الشيء:

- أيوة بس الموضوع كبر والحكاية ريحتها فاحت ولو زودنا عن كده هنروح في داهية كلنا.

نظر لها " كبير الجلسة " بأعين ساخرة وبسمة جانبية:

- مش أنتِ برضو اللي في اول الموضوع قولتي أنك مستعدة تعملي أي حاجة عشان الفلوس اللي هتطلع ليكِ؟! ليه غيرتي كلامك بالشكل ده؟!

وتدخل في الحديث رجل آخر ذو نبرة حادة لا يروقه أن يتحكم بهم ذلك الرجل كما لو كانوا دمى بخيوط.

- واحنا ايه يضمنلنا أننا لما نجيب ليك واحد كمان مش هتقول عايز عشرة.

تحركت أعين " كبير الجلسة " صوبه يردد بنبرة مهادنة بعض الشيء، فهو يعلم أنه إن اغضبهم فلن ينال شيئًا من الأمر:

- لا إن شاء الله دي اخر مرة هيطلبوا يزودوا، أنتم بس خلصونا قبل نص الشهر عشان الموضوع يتم على خير وكلنا نغتني ونقب.

تناقلت الأنظار بين الجميع بريبة، البعض يشك والبعض الآخر يترقب القادم، والبعض لا يهتم لكل ذلك، بل هو فقط يهتم بما سيناله

في النهاية.

تحدثت المرأة بجدية كبيرة:

- تمام، انهاردة هنشوف لو قدرنا نعمل عملية كمان.

أنهت حديثها تنظر لأحد الرجال نظرة فهمها ليوماً لها بطاعة شديدة وكأنه تلقى منها رسالة لا يفهمها سواهما.

***

وصل الجميع للمنزل بعد رحلة شاقة بين المنازل بحثًا عن أي طفل يُسمى كريم، وقد وجدوا واحدًا لكنه أنكر معرفته بما يتحدثون به.

توقف أسامة في منتصف البهو يرى انهيار عفاف وهند على المقاعد بإرهاق شديد وتعب، وهو ما يزال يدور محاولًا التفكير في شيء قد يفيدهم.

في تلك اللحظة خرج جلال من الغرفة بعدما سمع صوتهم وقال وقد كانت جميع ثيابه ملوثه بالغبار:

- أخيرًا رجعتوا؟؟ لقيتوا اللي اسمه كريم ده؟؟

نفى أسامة برأسه، ثم تساءل بأمل شديد:

- لقيت حاجة مكان البلاط اللي في الأوضة؟!

- لقيت اه.

فتح أسامة عيونه بلهفة شديد سرعان ما خفتت حينما أضاف جلال:

- لقيت رمل بس، البلاط مش تحته أي حاجة، هو أساس البيت عادي.

تحدثت هند بتفكير وهي ما تزال مغمضة العينين:

- معقولة يكون الموضوع صدفة عادي؟؟ يعني مثلا البلاط انكسر فركبوا غيره؟!

هز أسامة رأسه مقتنعًا بتلك الفكرة وقد لغي أمر المنزل من رأسه فليس كل مهمة سيجد سره المجهول أسفل أقدامه.

لكن ملامح جلال الذي كان يبدو كما لو أنه يكتم شيئًا ونظرات الخبث التي تعلو وجهه يعلمها جيدًا، فهو يرسم تلك التعابير حينما يصل لشيء ما ويحاول أن يتكبر عليهم بمعرفته ويدهسهم أسفل أقدامه كما يقول، ابتسم أسامة وهو يتحرك صوبه يجاوره في الأريكة، ينفض غبارًا عن سترة جلال:

- قولي يا جلال، شكلك كده عرفت حاجة مهمة صح؟؟ ملامح الخبث اللي وشك ونظراتك دي كأنك بتدوس على وشي اكيد وراها حاجة مهمة.

وضع جلال قدمًا فوق الأخرى بجدية كبيرة ينظر للجميع من أعلى عرشه، يتخيل نفسه الآن وقد أصبح قائدهم يأمرهم ويزجرهم

ويصرخ في وجوههم دون رحمة.

فجأة تأوه جلال بقوة على ضربة أسامة الذي قال بحنق:

- ما تخلص يا زفت هنتحايل عليك؟! قولي فيه ايه؟؟

رمقه جلال بشر يتوعده بالويل حينما يصبح هو قائده، وقد فهم أسامة نظراته تلك ليمنحه بسمة ساخرة:

- حاضر يا حبيبي أبقي دوس عليا لما تبقى القائد، أخلص قول بقي.

عدّل جلال من وضعية سترته يقول:

- ماشي، عشان تعرفوا أنكم من غيري ولا مهمة هتنجح.

تنفس بصوت مرتفع يستعرض أمامهم ما وصل له من خلال حديثه مع تسنيم والذي لا يدري هل هو مفيد لهم أم لا، لكنه على أية حال سيقوله:

- وانا بشوف حوار البلاط دخلت عليا البنت اللي اسمها تستنيم اللي هي بتشتغل في بيت العمدة دي، طبعا قالتلي بتعمل ايه وحاولت توترني بس على مين انا كنت ثابت ورديت عليها بكل برود وهدوء، واساسا هي مكانتش واعية بشيء لأنها باين كده عليها أنها معجبة بيا فاستغليت النقطة دي و...

قاطعه أسامة دافعًا إياه بحنق من كتفه:

- أخلص يا عم الجامد، قول ايه اللي حصل؟!

زفر جلال بحنق شديد وقد ملّ قلة التقدير في ذلك المكان وقال مختصرًا حديثه قدر الإمكان:

- خليتها تحكي ليا عن بيت الشيخ والناس اللي فيه، وقالتلي إن فيه واحد اسمه شيخ الجامع وده يبقى صاحب شيخ القرية الروح

بالروح ودايما مع بعض في كل حاجة، فأنا قولت ندور وراه.

نظر له أسامة بغموض يرى شخصية أخرى قد يضعها على قائمة المشكوك بهم.

قالت هند بجدية وهي تستمع لكلمات جلال تلك:

- طب ومقالتش أي حاجة عن الشيخ ده؟! زي تصرفاته أو بيعمل ايه معلا؟!

أجابها جلال بعفوية:

- بيصلي.

امتصت هند شفتيها بتأثر شديد:

- بسم الله ما شاء الله شيخ جامع بيصلي؟؟ اوعى تقولي بيصوم كمان.

هز كتفه بعدم معرفة ليزفر أسامة وهو يقول بجدية:

- هو ده بس اللى هى قالته؟!

نفى جلال وقال بهدوء شديد:

- لا هي حكت ليا عن كل اهل البيت واحد واحد.

ومن تلك النقطة بدأ جلال يقص عليهم كل ما سمعه من تسنيم وهو يرى الكل يسجل ما يقوله داخل عقولهم وحينما انتهى جلال قال:

- اه وحاجة كمان قبل ما أنسي..

أشار على المنزل حوله يقول بنبرة عادية بشكل كبير وكأن الأمر ليس هامًا بالشكل الكافي:

- البلاط اللي شوفناه في الأوضة جوا لقيت زيه في كل البيت.

انتبه له الجميع بكامل حواسهم وقد أثارت تلك الكلمات الغريبة تركيزهم لتتساءل عفاف:

- يعني ايه؟!

- يعني في كل اوضة في البيت هتلاقي جزء فيه بلاط جديد زي اللي شوفناه ولما شيلته لقيت تحته رملة عادي ومفيش اي شيء يدل إن ممكن البيت يكون تحته حاجة غريبة.

نظر الجميع لبعضهم البعض بتفكير في الأمر، حسنًا الآن أصبحت الأمور أكثر تعقيدًا فمن ذا الذي قد يسير في المنزل ينزع عنه أرضيته ويضع أرضية جديدة، وليس في كامل المنزل، بل في بقع معينة، هل هذا يعني أنه...

وقاطع افكاره صوت هند التي قالت ما كان يفكر به:

- معقولة يكون ده مكان بيدفنوا فيه العيال؟؟

نظرت لها عفاف تقول بشك وهناك أمر يدور في عقلها:

- أو بيدوروا على حاجة معينة.

نظر لها الجميع بعدم، لتشرد عفاف بعيدًا عنهم وتقول بهدوء ونبرة عادية:

- مجرد تخمين من ضمن التخمينات اللي بنفكر فيها عادي.

تحدثت هند بجدية وهي تقص عليهم ما توصلت له من نجاة، رغم حنقها كلما تذكرت ذلك الرجل الحقير.

- تمام بالنسبة لنجاة فهي قالت شوية معلومات مش عارفة ممكن تستخدمهم أو لا، بس قالت إن ابنها كان أول واحد يتخطف في البلد، وكمان لقوا جثته في نص الشهر، وكان عليها كلمات غريبة وعلامات غير مفهومة لكنه سليمة، جوزها العمدة سكته بقرشين ومن وقتها وهي متعرفش أي حاجة...

صمتت تنظر لهم بجدية، ثم قالت:

- الغريب أن شيخ القرية حسب كلامها معوضش حد في الناس غيرهم هما.

قالت عفاف بجدية:

- يمكن عشان هو الوحيد اللي مات فيهم؟!

- يمكن، بس السؤال ليه شيخ القرية مبلغش عن الجريمة دي؟؟ وليه محدش يعرف عن عمليات الخطف دي؟؟

وفجأة ضربت عفاف ذكرى قريبة وهي تنتفض فجأة وتقول بشرود وكأنها ترى أمامها مشهد يُعاد:

- عشان اللي جم ينقلوا الخبر معرفوش حاجة.

نظر لها الجميع بتعجب ولم يفقه أحد شيئًا مما سمعوا، وهي فقط كانت تنظر لهم ببسمة غير مصدقة، كيف لم تنتبه لذلك سابقًا وغفلت عن تلك النقطة:

- فيه فريق صحفيين جم البلد عشان ينقلوا اللي حصل واختفوا، صفية مرات العمدة هي اللي قالتلي كده.

اتسعت أعين الجميع وخاصة جلال الذي شعر بالرعب يتملك منه وهو يقول بهلع:

- بالكم دول جم بس عشان ينقلوا الخبر، امال احنا هيعملوا فينا ايه لو عرفوا أننا عايزين نقبض عليهم؟؟ دول هيقطعوا خبرنا.

كان يتحدث وهو يلطم وجنتيه برعب بينما الجميع يحاول التفكير في أي شيء قد يساعدهم في القادم، تنفس أسامة بصوت مرتفع وهو ينهض يتحرك يمينًا ويسارًا في المكان يمسح وجهه كل ثانية ليساعد عقله في التفكير.

المنزل..

الشيخ..

الجثة..

الفزاعة..

كريم ...

اختفاء الصحافيين..

كل تلك الأفكار كانت تدور في رأس أسامة محاولًا بيأس أن يصل لرابط بينهم، وأثناء ذلك التقطت عينه شيئًا يقبع على أحد الرفوف الملتصقة بالجدار، شيء جعله يتحرك صوبه بريبة شديد تحت أنظار الجميع.

مد أسامة يده يمسك تلك اللوحة الغريبة والتي تحوي نقوشًا مريبة لرسمة رآها سابقًا، وفجأة أعاد له عقله صورة حية عن جدار يتوسط بهو منزل "جابر".

ابتسم أسامة بسمة جانبية يحرك اللوحة بين يديه بشكل جعل الجميع يلتفون حوله وتتحدث عفاف متسائلة:

- فيه ايه يا عو؟! اللوحة مالها؟؟

ابتسم أسامة يجيب بسخرية:

- عجباني.

- وأنت من امتى ليك في الفن؟؟

رفع أسامة اللوحة في وجوه الجميع يقول بجدية كبيرة وهو ينظر بأعينهم كي يدرس ردات فعلهم عما يقول:

- ايه اللي ممكن يخلي كبير الغفر يبقى عنده لوحة زي دي بالضبط؟؟ نفس الشكل ونفس النقوش ونفس الحجم؟؟ اكيد يعني مشفهاش في بيت أهل فاطمة وعجبته وسأل عنها واشترى زيها.

صمت ثم بدأ يتحرك مجددًا يمينًا ويسارًا ليتحدث بشكل درامي:

- وحتى لو..

لكن قاطع طريقه وحركاته جسد جلال الذي كان يجاوره، ليزيحه أسامة قليلًا:

- عديني كده يا جلال...

ومن ثم تحرك بعيدًا عنهم يسير نفسه مشيته المعروفة حينما يفكر في أمرٍ ما:

- وحتى لو افترضنا أنها فعلا عجبته واشترى زيها، جاب منين فلوس لوحة بالشكل ده واللي تمنها اكيد هيكون خرافي على جابر، ومن امتى وشيخ الغفر في قرية بقي مرهف وبيحب الفن واللوح؟!

اقتربت منه عفاف تتساءل بما يدور في عقل أسامة، بل وعقول الجميع:

- يعني قصدك أن جابر ده ممكن يكون متورط في الجريمة؟!

صمت أسامة يرفع كتفيه ويهبط بهما في حركة خفيفة، ثم وضع يديه في جيب بنطاله يقول بجدية كبيرة:

- معرفش الحقيقة، اللي متأكد منه أن جابر ليه علاقة بالبيت ده، وليه علاقة بالبلاط اللي كل شوية يتغير، اكيد وجود نفس اللوحة دي عنده مش صدفة.

شاركته هند التحليل بتفكير:

- ممكن يكون بيخبي حاجات معينة وبيدفنها تحت البيت في أماكن مختلفة واللوحة دي مثلا عجبته فسرقها عادي.

تدخلت عفاف في الحديث وهي تقترب منهما وهي تفرك جسر أنفها، ثم نظرت لهند مبتسمة وقالت وكأنها تذكرها بشيء غفلت عنه:

- بس لو تفتكري، مفتاح البيت لما العمدة حب ياخده اخده من صاحبته، اللي هي فاطمة، فازاي جابر بيدخل يخبي حاجة أو يسرق

إلا لو هو بيسرق كمان المفتاح.

أضاف أسامة بتخمين:

- أو فاطمة دي معاه في الحوار اللي احنا منعرفش هو ايه وايه علاقته بالخطف.

بدأت عقول الجميع ترسم خطوط متشعبة وتضع بعض النقاط التي سيسيرون عليها في الأيام القادمة، وقد بدأت الأعين تلتمع بالغموض.

اقترب منهم جلال الذي قال بجدية:

- تسنيم كانت قالتلي إن جابر ده بيشتغل عند العمدة من وقت ما كان عيل وأنه مش بيعمل حاجة بدون معرفة العمدة ده، فممكن اوي يكون العمدة هو اللي بيجيب ليه المفتاح عشان يخلص ليه مصالح أو حاجة.

وضع أسامة يده أعلى فمه مفكرًا في الأمر أكثر وأكثر يشعر أنه على أعتاب حل تلك القضية، هو فقط يحتاج لسحبة خيط، سحبة واحدة ويصبح الخيط بأكمله ملتف حول أصابعه، وهذه السحبة تتمثل في شخص واحد فقط..

"جابر"

***

ومع غروب ذلك اليوم، وارتفاع صوت الحشرات الليلة التي أزاحت العصافير جانبًا، وبدأت تستلم فترة عملها المحببة، ارتفعت أصوات

الضفادع وأصوات الحشرات المزعجة.

كل ذلك والشمس لم تكد تعلن رحيلها بشكل كامل عن عملها النهاري ليتسلم منها القمر السماء، ومع اختفاء آخر شعاع من الشمس ارتفعت صرخات أحد الأطفال في شوارع تلك القرية، حيث كانت كل أسرة تختبأ في منزلها، يخفون أطفالهم رعبًا أن تنتشلهم الفزاعة من بين أحضانهم.

كان الصغير يهرول بأنفاس سريعة صوب منزله بعدما أدركه الغروب دون شعور منه، نفخ بضيق يتجهز لسماع صراخ والدته وتوبيخ والده، ما كان عليه الذهاب للجهة الشرقية ليلعب هناك، ها هو قد تأخر في العودة وهذا ما حذرته منه والدته.

اقترب من حوش منزله بخطوات سريعة وانفاس لاهثة، لكن فجأة توقفت أقدامه برعب وهو يرى في الشارع المؤدي للمنزل جسد يرتدي الاسود بالكامل يقف ويشير له أن يقترب.

ابتلع الصغير ريقه وشعر بالخوف يصيبه بالتيبس، ما عاد قادرًا على تحريك عظمة واحدة في جسده، سقطت دمعة منها خائفًا، يتحرك بعيدًا عن ذلك الجسد وقد قرر بشكل طفولي أن يتجنبه ويهرب للمنزل من طريق آخر.

لكن ما كاد يتحرك خطوة واحدة حتى وجد ذلك الجسد يركض صوبه لترتفع صرخات الطفل بشكل هيستيري وهو يركض دون أن يرى الطريق أمامه، لا يبصر شيئًا سوى موته الذي يلحق به، تنفس بقوة وهو يهرب منه ويصرخ بفزع ورعب باكيًا، يشعر بوجع في صدره لشدة تنفسه واستهلاك الأكسجين في الركض.

في تلك اللحظة بالتحديد كان أسامة يودع الفتيات أمام المنزل ليعودوا حيث منزل الشيخ، لكن فجأة سمع الأربعة صوت صرخات عالية لطفل، جعلت أسامة يركض كالمجنون دون تفكير لحظة واحدة في الأمر، كان ذلك ردة فعل سريعة من جسده تجاه تلك الصرخات المستنجدة.

ولحق به عفاف التي لم تتركه وجلال الذي تحرك عائدًا بسرعة صوب المنزل، لكن هند أمسكت بثيابه تجذبه خلفهم وهو يصرخ:

- أنا مالي، هو أي صويت نجري ناحيته؟! أنتم مش بتتعلموا؟!

نظرت له هند بشر تشير له أن يلحق بها دون حديث كثير، وهو فقط يحاول الهروب من يديها والعودة صوب ذلك المنزل الذي كان يفر منه منذ أيام فقط، الآن أصبح ملجأه.

وبمجرد أن أفلت من يد هند حتى أمسكت ثيابه من الخلف صارخة:

- والله ما هسيبك يا جبان، امشى شوف فيه ايه معانا.

- هو فيلم هنشوفه سوا، دي عفاريت وبلا ازرق، أنا مرتبي مش كبير اوي كده عشان ارمي نفسي في أي بلوة.

اشتد غضب هند من جلال لترفع قدمها ضاربة إياه في معدته، ثم جذبته بالقوة خلفها وهو ما يزال يصرخ مناديًا والدته، يرتعب من الاشباح وكل تلك الأمور.

وعند أسامة كان يركض بشكل مرعب صوب الصرخات ليخرج

حيث الشارع الرئيسي ويبصر طفل صغير يركض باكيًا وهو يصرخ مرتعبًا من ظل أسود خلفه.

تحرك أسامة مهرولًا صوب الصبي الذي ألقى بنفسه بين أحضانه لا يعلم هل هو شخص جيد أو لا، هو فقط أراد الاحتماء من الظل الاسود خلفه.

بينما عفاف ركضت خلف ذلك الظل الذي لم يتضح لهم هيئته بسبب قلة الاضواء في الشارع، كانت تركض بسرعة مخيفة تستغل خفة وزنها مقارنة بذلك الجسد الكبير الذي يتحرك أمامها، ابتسمت وهي تمسك بيده في قوة كبيرة تغرز أظافرها في ذراعه صارخة:

- مسكتك...

لكن وقبل أن تضيف كلمة على كلمتها الاولى، وجدت يد تُرفع في وجهها، لتتجنبها بمهارة عالية وتصدها، ثم رفعت يدها لتصيب الجسد أمامها بلكمة اقوى من خاصته، تراجع الجسد للخلف وعفاف تقدمت منه تضربه في معدته بعنف شديد، في الوقت الذي ابصرت به هند وجلال يتقدمان منهما حسب كلمات أسامة الذي كان يحاول تدارك حالة الصبي.

لم تكد هند تصل لعفاف، حتى رأت جسد آخر يأتي من خلف عفاف ضاربًا إياها أعلى رأسها بقوة عنيفة بعصا غليظة.

وفورًا سقط جسد عفاف ارضًا لتصرخ هند باسمها، تتحرك صوبها مرتعبة، بينما جلال حينما رأى ما حدث اشتد غضبه وركض كالمجنون خلف الجسدين اللذين هربا، نسي خوفه حينما أدرك أنهما

ليسا بالأشباح، وتجاهل رعبه عندما أبصر إصابة عفاف.

كان يركض خلفها بقوة شديد لكن فجأة تبخرا، بكل بساطة اختفيا مستغلين الظلام المحيط بالأراضي الزراعية في تلك الساعات.

سبّهما جلال بغيظ شديد، يضرب بأقدامه الأرض، ثم عاد ركضًا، حيث عفاف وهند.

في تلك اللحظة كان أسامة يضم الصبي الذي سقط في أحضانه باكيًا وقد كانت ضربات صدره خافته بشكل مخيف.

نظر حوله مصدومًا أن أحدًا لم يستمع لكل تلك الصرخات، لا أحد خرج، ولا أحد لبّى بكاء ذلك الصغير.

ضمه له وركض سريعًا صوب فريقه ليرى ما حدث، لكن في تلك اللحظة ظهرت أمامه سيدة تصرخ مشيرة له ومعها رجلين:

- امسكوه ده هيخطف الواد.

اتسعت أعين أسامة بصدمة ولم يستطع الحديث ليجد الجميع قد أحاط به، جذبت السيدة الطفل منه باكية وهي تضمه لها توجه لأسامة الاتهامات.

بينما الصبي يحاول الحديث باكيًا:

- كان لابس اسود وبيجري ورايا، كان هيخطفني بس عمو ده لحقني.

تحدث مشيرًا لأسامة، الذي رمق أهل الصغير بشر..

علت ملامح السيدة نظرات خجل وامتنان شديد وهي تشعر أنها

اخطأت في حق أسامة:

- أنا... أنا... معلش و.

ولم تكد تكمل كلمتها حتى سمعت صوتًا رجوليًا يأتي من الخلف لاهثًا مرتعبًا ينادي باسم أسامة:

- أسامة الحق عفاف.

ثلاث كلمات كانت كفيلة لتلقى أسامة فى هوة سحيقة يواجه رعبًا عاتيًا يختبره لأول مرة، شعر بضربات قلبه تكاد تتسبب في خروج قلبه عن حدود صدره، خوف وهلع اصابوه حينما وصل ليجد عفاف ممدة في دمائها، لتتسع عيونه بقوة وهو يركض صوبها يجذبها من أحضان هند صارخًا:

- لا لا فوفا.. حصل ايه؟؟ عفاف حصلك ايه؟؟ هي مالها؟؟

تحدثت هند باكية وهي تقص عليه كل ما رأته:

- واحد منهم ضربها على دماغها وهربوا.

نظر لها أسامة بعدم فهم:

- واحد منهم؟؟

بكت هند وهي تقول:

- كانوا اتنين.

في تلك اللحظة انتفض أسامة يضم له هند وهو يركض بها بسرعة كبيرة يصرخ بهما أن يحضروا له أي سيارة يلعن ذلك الرجل الذي

اجبرهم جميعًا على ترك سيارتهم خارج القرية.

وفجأة توقفت أمامه سيارة بشكل سينمائي وصوت جابر يقول بصدمة وهو ينظر لعفاف:

- هي الدكتورة مالها؟؟

نظر له أسامة بشك كبير، لكنه رغم ذلك قال بهدوء:

- وقعت على السلم واتخبطت في دماغها.

أشار لهما جابر ليصعدوا إلى السيارة:

- طب اركبوا بسرعة أخذها للمستشفى، أنا كده كده كنت رايح للولا ابني هناك.

وبسرعة ودون أن يناقشوه في شيء صعد الثلاثة السيارة، جلال جوار جابر وهند في الخلف معها أسامة الذي ما يزال يحمل عفاف برعب جلي على ملامحه، وقد أجّل التفكير للغد، فقط يطمأن على عفاف وحينما يقسم أن يريهم جميعًا جحيمه.

بعد دقائق عديدة توقفت السيارة أمام المشفى لتهبط هند وتفتح الباب لأسامة، والاخير هبط سريعًا يركض داخل المشفى يبحث عمن يساعده، حتى وجد طبيب في الطوارئ يستقبل منه عفاف ليعالجها:

- معلش استناها برة لغاية ما نخلص.

خرج أسامة يقف جوار هند وجلال الذي كان مرتعبًا وهو ينظر للغرفة قائلًا بحزن:

- هي عفاف ممكن يحصلها حاجة؟!

نظر له أسامة وقد أصابته تلك الفكرة برعب كبير، أي حياة تلك دون عفاف، فوفا خاصته، الحبيبة التي يستيقظ كل يوم لأنه فقط يعلم أنه سيراها ويقضي معها يومه.

تنفس أسامة بصوت مرتفع بينما تحدثت هند باكية لأول مرة في حياتها:

- هي هتكون كويسة يا عو صح؟! أنا والله ملحقتش احذرها هو اللي ضربها بسرعة من غير ما الحق انطق كلمة.

هز أسامة رأسه لا يستطيع أن يتحدث بكلمة أو يتجادل مع أحد الآن..

وصل لهم جابر الذي قال بقلق:

- خير يا دكتور الآنسة عاملة ايه دلوقتي؟؟

هز أسامة رأسه وقد حاول التحدث بثبات شديد أمام جابر، لا يريد أن يُظهر شيئًا أمامه خاصة أنه أحد المشتبهين بهم:

- كويسة الحمدلله، هو بس هنعالج الجرح.

ابتسم له جابر يربت على كتفه بمؤازرة:

- متقلقش الدكتورة هتكون بخير، مش عايز تيجي تشوف ابني؟؟

نظر له أسامة بتعب شديد يشير له بالرفض وهو يقول معتذرًا منه بلطف:

- معلش يا جابر مش...

لكن فجأة توقف حينما سمع صوت جابر يقول بإصرار:

- والله ما ينفع ده الواد كريم بقي كويس بسببك بعد ربنا، لولاك أنا كنت جبتله أي حاجة من الصيدلية وكان راح مني.

اتسعت أعين أسامة بقوة ونظر لجابر يقول بانتباه شديد وقد شعر أن كامل حواسه استيقظت فجأة كمن أُلقى فوق رأسه داو مياه بارد:

- مين؟؟

اجابه جابر ببسمة صغيرة:

- كريم ابني الصغير ...

***

الفصل السادس

هي لحظة واحدة قد تُغير كامل تفكيرك، وتجعلك تدير رأسك صوب حقائق لم تكن لتراها، إذ كنت تنظر لجانبٍ، وهي تحلق في الجانب الآخر بعيدًا عنك.

وتلك اللحظة هي نفسها التي سمع بها أسامة اسم " كريم " يخرج من فم جابر بكل عفوية.

كان أسامة يحاول تحليل ما سمع من جابر، هل يقصد ذلك الكريم نفسه الذي بحث عنه في كامل أرجاء القرية دون أن يصل له؟!

- كريم؟؟ ابنك اسمه كريم؟؟

تعجب جابر ملامح أسامة المتسائلة والمدهوشة مما قال:

- فيه حاجة ولا ايه يا دكتور؟! ما أنت بنفسك اللي جيت عشان تعالج الواد وجبته على المستشفى لما قولتلي.

هز أسامة رأسه بشرود كبير وقد أصبحت الخيوط في عقله أكثر وضوحًا، جابر ليس فقط له علاقة وثيقة بالمنزل المريب، بل هو له علاقة وثيقة بالجريمة كلها، فكيف يرى طفل صغير المجرم وينجو من شِركه، إلا إن كان والده على علاقة وثيقة بذلك المجرم، أو هو نفسه المجرم.

ثواني وسمع أسامة صوت طبيب شاب يتحدث بجدية لهند، فتدافع صوبه بسرعة يتساءل واللهفة تزيّن أحرفه:

- عفاف عاملة ايه؟؟ هي كويسة؟!

نظر له الطبيب يتحدث بهدوء شديد وبسمة صغيرة مرهقة بعض الشيء، ربما لكثرة العمل داخل تلك المشفى المتواضعة طوال اليوم مع عدد قليل من الأطباء:

- أيوة متقلقش هي بخير، بس الضربة كانت شديدة شوية، لكن مسببتش أذى، أحنا عالجناها وعطيناها مسكن وهي بإذن الله هتكون بخير.

ختم الطبيب حديثه يستأذن منهم، ليتقهقر أسامة صوب الحائط يدفن وجهه بين يديه، يشكر الله ويتنفس الصعداء، تلك اللحظات التي مرت عليه جعلته يدرك أنه لا شيء دون عفاف، أن وجودها لا يقتصر فقط على كونها مخطوبته، بل هي أكثر من ذلك.

انتفض جسده انتفاضة خفيفة غير محسوسة على صوت جابر الذي ابتسم يقول بسعادة مشاركًا إياهم فرحة نجاتها:

- طب الحمدلله أنها بقت كويسة، بإذن الله تفوق وترجع معاكم.

اومأ له أسامة بحركات بطيئة، قبل أن يقول فجأة ببسمة صغيرة:

- بما إننا اتطمنا على عفاف، هاجي معاك اشوف كريم.

ابتسم جابر له بسعادة وهو يقول مرحبًا بذلك العرض:

- تنور يا دكتور، ده كفاية أنك السبب بعد ربنا أنه يبقى كويس.

تحرك جابر من فوره في الممر المؤدي لغرفة طفله مفترضًا أن أسامة يتبعه، لكن أسامة توقف فجأة ونظر لهند وجلال يقول بصوت خافت وبكلمات مقتضبة:

- خمس دقايق وعايزكم تيجوا تسحبوا جابر من اوضة ابنه، عايز أبقي مع الولد لوحدي.

وزغم أنه لم يوضح أكثر من ذلك ولم يخبرهم كيف يفعلون ما طلب، إلا أن هند هزت رأسها موافقة كما اعتادت أن تفعل، نظرت لجلال الذي كان يحدق بباب غرفة عفاف يود أن يطمأن عليها، لكن سمع صوت هند تقول:

- يلا يا جلال تعالى معايا عشان أنت اللي هتخرج جابر من هناك.

- أخرج مين؟؟ وده أخرجه ازاي؟!

هزت هند رأسها بجهل:

- معرفش، بس هنتصرف.

وفي الغرفة عند كريم.

كان الصغير يتوسط فراش شبه متهالك، ذو أغطية بيضاء تكاد تميل للأصفر لقلة تنظيفها، بيئة مناسبة لاستوطان الأمراض وتدمير الأجساد وليس علاجها.

وكريم ذلك الصغير ينظر للامكان، وفي أذنه تتردد كلمات خافتة مرعبة، صوت انفاس وأصوات صرير، وسلاح حاد يلوح أمام عيونه، وجسد ضخم يقترب منه في ظلام الليل، يكتم أنفاسه ويقترب منه بأعين تضوي في ظلام الليل، يشعر بأنه لم يعد قادرًا على التنفس، يحرك قدميه بقوة في محاولة بائسة لتحرير جسده من ذلك الأسر، الغرفة تدور به، واليد تشدد على تكميم فمه، والصوت يقترب منه هامسًا:

- إياك حد يعرف باللي شوفته، وإلا هيحصل ليك نفس اللي حصل.

انتفض جسد الصغير بقوة مخيفة وقد بدأ يرتجف لحظات قبل أن يهدأ فجأة وكأن ما حدث لم يكن.

سحب أسامة مقعد وجلس جوار الصغير يراقب ملامحه الشاردة في نقطة بعيدة، كانت تبدو على وجهه تعاسة رجل تخطى الثلاثين من عمره دون أن يصل لشيء في حياته أو يمتلك حتى قوت يومه.

نظر أسامة صوب جابر يتساءل بعدم فهم:

- هو ماله؟! ايه اللي حصله عشان يبقى في الحالة دي؟!

توتر غير ملحوظ مر سريعًا في عين جابر الذي قال بجدية وهو ينظر لطفله بحزن وشفقة كبيرة، بينما أسامة كان كالصقر يراقب كل شيء يحدث بدقة:

- معرفش والله يا دكتور، هو على الحال ده من اسابيع، كان بيلعب مع صحابه ورجع البيت بالشكل ده محدش يعرف حصل ايه ليه؟؟

رفع أسامة حاجبه ولم يقتنع بهذه الإجابة، شعرها ناقصة، لكنه لم يبد اهتمامًا زائدًا قد يتسبب في دفع جابر لأخذ الحيطة منه.

ابتسم أسامة يتحسس خصلات الصغيرة الناعمة وهو يقول:

- مساء الخير يا كريم، عامل ايه؟!

لكن الطفل لم يتحدث، هو فقط اكتفى بمنح أسامة نظرة صغيرة مرتابة جعلت شكوكه تتحرك صوب منطقة اليقين في عقله، هذا

الطفل هو نفسه الذي يبحث عنه، ويبدو أنه يحمل الكثير والكثير في جعبته.

ما بال هذان الاثنان تأخرا في سحب جابر، يود الحديث مع الطفل، فلا يدري متى تُتاح له فرصة كتلك.

وكأنه استحضرهما في عقله، إذ اقتحم جلال الغرفة يقول بصوت هلع بعض الشيء:

- ألحق يا جابر الونش شال عربيتك.

استدار جابر بسرعة صوب جلال وقد ملئت الحيرة وجهه، بينما أسامة رمقه من الخلف بشر وتوعد.

وشعر جلال أن كلماته لم تكن كافية لإثارة فزع جابر، أو بالأحرى لم تكن ملائمة لمثل تلك الظروف، فأي ونش هذا سيأتي ليزيل سيارة في قرية ريفية ومن أمام مشفى حيث لا سيارات غيرها ولا مخالفة ارتكبتها؟!

صمت يقول وهو يحاول أن يصحح خطأه الغبي:

- قصدي.. قصدي أنك تتصل بونش يجي يشيل العربية عشان أنا شوفت من شوية عيال خرموا الكوتش بتاعها.

اتسعت أعين جابر يطلق سبة عالية وهو يركض خارج الغرفة دون تفكير، بينما أسامة رمق جلال بتوعد قائلًا:

- غور وراه بسرعة واعمل اللي قولتلك عليه.

خرج جلال خلف جابر تاركًا أسامة ينظر للصغير بجدية كبيرة

وحنان، اقترب بمقعده من الفراش ينادي الصغير بصوت خافت:

- كريم.

استدار له كريم نصف استدارة دون أن يصدر منه ردًا واحدًا، مما جعل قلب أسامة يهتز شفقة على الصغير، امتدت أنامله بلطف تتحسس خصلات شعره:

- أنت كويس؟؟

لم يجبه الصغير لم يتحرك به شيء، ليشعر أسامة بالعجز عن إجباره على الاستجابة له:

- أنت خايف من حد يا كريم؟؟

ارتجف جسد الصغير فجأة وشعر أسامة ببؤبؤ عينه يتسع بقوة حتى كاد السواد يملئها، وقد بدأ يُحرّك رأسه بشكل عشوائي أكد لأسامة شكه، مال الأخير على الصغير يهمس بصوت منخفض:

- متخافش أنا جيت عشان اساعدك، بابا اللي جابني هنا وقالي ساعد كريم عشان خايف.

نظر له الصغير بأعين دامعة وقد بدأت شفتيه ترتجف بقوة في إشارة على قرب انفجاره بالبكاء، لكن يد أسامة التي أخذت تربت عليه بحنان شديد وصوته الهادئ ساعده للخروج من تلك الحالة:

- أهدي متخافش أنا مش هسيب حاجة تأذيك، أنا هنا عشان اساعدك.

نظر له الصبي بأعين تلتمع بالخوف، ليشعر أسامة بالسخط يزداد

في قلبه أكثر تجاه هذا المجرم الذي لم يشفق على طفولة ذلك الصغير وتسبب له في كل ذلك.

- كريم أنت شوفت الفزاعة؟؟

كان سؤالًا مباشرًا منه ومفاجئًا، لكنه لم يملك وقتًا ليطيل حديثه أكثر، عليه أن يعلم المزيد عن تلك أو ذلك الفزاعة، وذلك الطفل أمامه هو مصدره الوحيد لما يريد، فملامح الشحوب والهلع التي علت ملامحه انبأته جيدًا أنه في المكان الصحيح لمعرفة ما يرغب به.

ارتجف جسد الصغير وعلت فجأة شهقاته يهز رأسه للجانبين بقوة رافضًا أن يتحدث كلمة تدور حول ذلك الاسم الذي ذكره، وأسامة تفاجئ من مقدار الرعب الذي على ملامحه، هذا الصبي يعاني كل ذلك لأنه فقط رأى الفزاعة كما أخبره الطفل الآخر أم أن هناك الكثير أيضًا في جعبته؟؟

والصغير رفض الكلام، يندفع أسفل غطاء فراشه متكومًا كالجنين، يتخذ الوضع الذي كان آمنًا به داخل رحم والدته، ودموعه تهبط بقوة، جسده يرتجف وأعينه متسعة، لا يرى سوى الظلام أسفل ذلك المفروش ومن وسط الظلام أبصر جسدًا ينافس الظلام سوادًا يقترب منه، سكين يُشهر في وجهه وملامح مرعبة تشير له بالصمت.

انتفض فجأة كريم يبعد عنه الغطاء صارخًا برعب شديد وكأنه أبصر ذلك الجسد مجددًا، كان يبكي وينتقض بقوة ويصرخ بشكل هيستيري جعل أسامة ينهض يحاول أن يحتويه:

- أهدي يا كريم، مفيش حد هنا، أهدي مفيش حاجة.

لكن الصغير بكى وانتحب بقوة ينظر لأسامة من بين دموعها قائلًا برعب:

- هو قالي هيرجع عشاني تاني، هياخدني ويقتلني زي ما عملوا قبل كده، قالي لو اتكلمت هياخدني أنا كمان.

كان أسامة يستمع لتلك الكلمات بأعين متسعة، يحاول أن يحتوي خوف ذلك الصغير بين يديه:

- هو.. هو مين يا كريم؟!

هز كريم رأسه بقوة، يرفض أن يعترف بكلمة، يرفض أن يتلفظ باسم قد يدمر حياته.

وأسامة يراقب كل ذلك بأعين غاضبة غامضة، وقد اشتعل صدره بقوة مما يرى، هذا كله والطفل آمن بين أيدي والديه، فما حال هؤلاء الذين تم انتزعاهم؟!

في الخارج كان جابر يدور حول السيارة يمسك بين يديه عصا خشبية التقطها عن الأرض بمجرد خروجه من المشفى، حتى إذا أبصر ذلك المخرب يحطم عظامه وعظام عائلته.

لكن ها هو منذ خرج يدور حول السيارة خلف جلال يبحث عن ذلك الإطار المثقوب بلا فائدة:

- هو فين الكوتش اللي مخروم ده يا دكتور؟! ما كل حاجة زي الفل اهي.

توتر جلال يشير بشكل عشوائي صوب السيارة:

- هو هنا، هتلاقيه هنا ولا هنا، دور أنت كويس، بص دور في الاثنين اللي قدام وأنا هدور في اللي ورا.

ورغم أن جابر كان قد بدأ ينفذ صبره إلا أنه فعل وتحرك صوب الإطار الأمامي ليفحصه بشكل دقيق، بينما جلال اختفى خلف السيارة وانحنى ارضًا يبحث عن شيء حاد مدبب يصلح لثقب إطار داخل جيبه، وبالطبع شخص كجلال يهوي النجارة والتصليح لن يسير دون حمل ما يفقه استخدامه كالمفك أو المسامير.

أخرج أحد المسامير بسرعة شديدة، ثم دفعه في الإطار أمامه بقوة مبتعدًا عنه فجأة وهو يقول بصوت مرتفع ضاربًا كف بالآخر:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، تعالى يا جابر لقيت الكوتش المخروم اهو.

ركض جابر بسرعة كبيرة صوب جلال ينظر بأعين متسعة صوب إطار سيارته الذي كان يخرج الهواء من داخله:

- ايه ده؟؟ أنا لسه كنت شايفه من شوية ومكانش فيه حاجة، ازاي كده؟!

ابتسم جلال بتوتر:

- يمكن كان لسه بيخرج هوا براحته، المهم بسرعة اجري روح شوف أي ميكانيكي يصلحها.

نظر له جابر بسخرية لاذعة يدفعه جانبًا ليرى مدى سوء الإطار:

- ميكانيكي ايه يا دكتور اللي اوديله الكوتش؟؟ ده بنوديه للورشة

بتاعة الكوتشات، ودي بقي في قرية جنبينا مش هنا، يعني عشان يتصلح محتاجين نزق العربية لهناك.

نظر له جلال بعدم فهم:

- يعني ايه؟؟

نهض جابر ينفض يديه قائلًا:

- يعني يدك معايا يا دكتور نزق العربية لغاية البيت عندى وانا هبعت لحد من العيال يوديها للورشة.

اتسعت عين جلال يتراجع للخلف يحاول إيجاد حجة سريعة، هو لن يدفع تلك السيارة الضخمة حتى منزل جابر والذي لا يدري أين تقع اراضيه، وفجأة جاءته النجدة على هيئة هند وهي تقول بجدية:

- جلال تعالى عايزاك.

اتسعت أعين جلال بسعادة كبيرة يعتذر من جابر بملامح مصطنعة:

- معلش يا جابر لازم اشوف دكتورة هند محتاجة ايه؟! لأحسن هي عصبية وممكن تأذيني في شغلي، وأنت اكيد مترضاش ليا الاذية، صح؟؟

وقبل أن يفتح جابر فمه بكلمة واحدة كان جلال يختفي أمامه وكأنه لم يكن، نظر صوب السيارة بعجز هو لن يقوى على دفعها وحده؛ لذلك قرر العودة للمشفى وإرسال من يأخذها لاحقًا.

***

دخلت هند للمنزل الخاص بشيخ القرية يتبعها أسامة الذي يحمل بين يديه جسد عفاف والتي رفضت رفضًا قاطعًا أن تمكث في تلك المشفى لحظة إضافية من بعد افاقتها.

أشارت له هند على الغرفة التي تمكث بها مع عفاف وخلفها فاطمة التي كانت تنظر لما يحدث بعدم فهم:

- ايه اللي حصل يا هند؟؟ مالها عفاف؟؟

نظرت لها هند تقول بهدوء شديد:

- وقعت على السلم وجرحت راسها.

نظرت فاطمة للغرفة حيث أسامة الذي كان يساعد عفاف للراحة على الفراش، ثم جلس بجانبها يتحدث لها بنبرة خافتة:

- لا ألف سلامة عليها، إن شاء الله تقوم بخير.

صمتت، ثم قالت بفضول شديد وقد كانت من ذلك النوع الذي قد يقتله فضوله:

- ألا هو يعني ولامؤاخذة يا دكتورة، عفاف دي تعرف الدكتور ده؟! أصل أنا كنت باخد بالي إن الجدع ده بيبصلها كده بصات مش ولا بد يعني.

نظرت لها هند ترفع حاجبها بحنق شديد من تدخل فاطمة في أمور رفيقتها، لكنها تدرك أن هذا الأمر تربت عليه وليس بيدها أن تتحكم في فضولها:

- أسامة يبقى خطيب عفاف وقريب اوي هيكتبوا كتابهم.

- وقاعد معاها عادي كده؟؟ مينفعش يا دكتورة كده الناس تاكل وشكم.

سخرت منها هند تجذبها بعيدًا عن باب الغرفة الذي تركته مفتوحًا:

- بقولك ايه يا فاطمة ما تيجي تعلميني ازاي اعمل صينية بطاطس زي بتاعتك.

نسيت فاطمة في ثواني كل ما كان يدور في عقلها وهي تجذب هند خلفها بحماس شديد لتستعرض أمامها مهاراتها في المطبخ.

وكل ذلك كان تحت عين صفية التي تجلس في البهو الداخلي للمنزل تراقب ما يحدث بسخط شديد، لا يعجبها ما ترى وما يحدث في المنزل:

- بقي الدوار عامل زي الحمام العام، الكل داخل وطالع فيه، وست فاطمة سرحانة بالعيال اللي جايين البلد وفرحانة بيهم، لا ومصحباهم.

تناولت بعض التسالى أمامها تعود بنظرها للتلفاز ساخرة:

- الشيخ يوم ما يبص لواحدة ويفكر يتجوزها، يجبلنا واحدة عقلها على قده زي كل عيلتها..

***

- تمام كده يا فوفا ولا اعدلك المخدة تاني؟!

أشارت له عفاف بيدها تتحدث بصوت مرهق بعض الشيء:

- لا يا عو أنا كده زي الفل متقلقش.

جلس على المقعد أمامها يحدق بها في قلق لم يُحسن التحكم به كما طالبته، يشعر ببقايا خوف ما تزال تستوطن صدره.

بينما عفاف تراقب ما يسكن ملامح وجهه من خوف، تتعجب قدرته على القلق عليها، وهل يشعر أسامة بأي مشاعر نحوها عدا مشاعر واجبه كخطيب لها؟؟

عفاف تلك المسكينة التي لا ترى ابعد من أنفها، لم تر يومًا أن ذلك الرجل الذي يُلقب بالعو، يهيم بها دون إرادة منه.

ابتسم أسامة يرى ملامح الحيرة تعلو وجهها ليقولها صراحةً:

- كنت مرعوب عليكِ يا عفاف، حسيت روحي خرجت مني لما جلال جه قالي اللي حصل.

اتسعت عين عفاف بقوة تحاول أن تستوعب كل تلك الكلمات التي خرجت دفعة واحدة منه، هذا كثير عليها، أن يظل يعاملها كما يعامل رفيقه وفجأة يلقي في وجهها كلمات شاعرية جميلة.

- أنت بتكلمني أنا؟!

- فيه حد غيرك اسمه عفاف هنا؟؟

رمقت له عفاف لا تصدق ما يقول:

- هو أنت اللي انضربت على دماغك ولا ايه يا عو؟! أنا حساك مش واعي بتقول ايه.

ضحك أسامة بقوة يميل بنصف جسده العلوي على الفراش، يتنهد بصوت مرتفع وقد كللت الراحة نبرته واخيرًا حينما سمع كلماتها:

- لا يا عفاف أنا كويس اهو، بس كنت خايف عليكِ.

نظرت له بشك تضيق عينيها:

- أنت عايز مني حاجة صح؟؟

فتح أسامة عيونه بعدم فهم لتوضح عفاف مقصدها:

- يعني فيه حاجة عايز تحللها فيه موضوع عايز ترميني فيه مش كده؟!

- هو أنا منشفها اوي كده؟؟

اومأت له عفاف موافقة على جملته ليتأوه أسامة يفرك خصلات شعره السوداء، ثم وضع يده أعلى فمه يحاول أن يجد مبررًا لكل ذلك غير حجته الغبية في أنه لم يكن يود أن يخلط بين مشاعره وعمله..

وعفاف تتابع كل ذلك بصمت، حتى انفجرت في الضحك ليرمقها أسامة بعدم فهم وهي وضحت له دون أن يُضطر حتى لسؤالها:

- أصلك عامل زي العيال الصغيرة لما تتزنق في موضوع.

زفر أسامة بصوت مرتفع يدرك صحة تشبيهها:

- بصي يا عفاف أنا ... أنا شخص مش بعرف اتعامل بحرية في العمل، أو بالأحرى أنتم مش عاطيني فرصة اتنفس حتى، ممكن تلاقيني في المهمة بقولك عفاف أو مدام عفاف، تلاقيني بزعق أو بجيب اخري، لكن في النهاية ورغم ده كله، أنتِ عندي فوفا، البنت الجدعة اللي مكانتها عندي أكبر من مجرد عميلة في فريقي.

كانت عفاف ترتشف من كلماته ما يروي ظمأ سنواتٍ عاشتها في انتظار نظرة واحدة منه، وهو ابتسم لها بحنان يمنحها الكثير دون بخل:

- كلامي معاكِ وهزاري. معاملتي ليكِ نابعة من عشم كبير يا فوفا، وعمري أبدًا ما قصدت إني ازعلك بكلامي، فلو هيضايقك إني اقولك مدام عفاف...

ابتسمت له وكادت تقول إنها تتقبل منه كل شيء لكنه سبقها وقال:

- فاتضايقي عادي، لأني عمري ما هبطل اقولك كده، خلاص الكلمة دي علامة مسجلة.

ازداد غضب عفاف منه وشعرت أنها على استعداد الآن للانقضاض عليه وقتله، لكنها فقط قالت بكل بساطة:

- أطلع برة يا أسامة، اطلع برة واتقي شري عشان أنا على تكة منك.

ضحك أسامة لها يقول:

- ايه يا فوفا ما أنا لسه قايلك كلام حلو قبل ده.

- ورجعت سميت بدني بده، أطلع برة يا أسامة اطلع برة.

أطلق أسامة قهقهات عالية متحركًا صوب الخارج، بينما هي تنظر لأثره في حنق شديد وغضب، قبل أن تزفر بقوة:

- الله يسامحك خربت مزاجي.

***

في الخارج كان جلال قد استغل فرصته ليلتصق بتلك المدعوة تسنيم، مدعيًا في داخله أنها هي من تتحين الفرص للجلوس رفقته.

تناول قضمه من الفاكهة بينما تسنيم جواره ترتب وسائد غرفة الضيوف.

- يعني أنتِ مش مرتبطة صح؟!

- مرتبطة ايه بس يا سي جلال؟؟ الكلام ده ميصحش هنا عندنا، أنت عايز الناس تاكل وشي وتقول عليا قليلة الحيا.

ابتسم جلال بسمة كبيرة وقد شعر بالزهو يزداد داخله من حديثها، لكن فجأة أبصر جسد رجولي يتحرك مع شيخ القرية لداخل المنزل يبتسم بشكل مريح، حتى أنه ألتفت لجلال ورحب به بنظرات هادئة جعلته يتساءل:

- مين الجدع ده اللي مع شيخ القرية؟؟

نظرت تسنيم خلف ظهرها، ثم عادت تنشغل فيما تفعل:

- ده الشيخ سعد، شيخ الجامع اللي قولتلك عليه.

هز جلال رأسه بإدراك، ثم اعتدل في جلسته قائلًا بجدية غريبة على شخص مثله:

- قوليلي يا تسنيم هو البيت بتاع الست فاطمة ده طبيعي؟؟ أصل جابر كان بيقول أنه مسكون.

حسنًا جلال احسنت، هذه بداية جيدة لما تريد، هيا أكمل على هذا

المنوال ومع بداية المهمة القادمة ستقود أنت الفريق وتدفع بأسامة خارجًا.

انتبه من بين أحلامه الوردية بنظرات تسنيم التي نظرت حولها قبل أن تقول بصوت منخفض:

- اششش وطي صوتك الله يكرمك، ستي فاطمة لما تسمع السيرة دي بتتعب، وبتزعل قوي.

لم يفهم جلال مغزى تلك الجملة:

- مش فاهم بتزعل من إن الناس بيقولوا على بيت اهلها مسكون؟؟

- لا، بتزعل لأنها بتفتكر أن أهلها ماتوا كلهم بسبب البيت ده.

اتسعت أعين جلال بقوة وهو يعتدل في جلسته وعيونه ما تزال ترصد كل ما يصدر من تسنيم:

- ماتوا بسبب البيت ازاي يعني؟؟

***

اقتحمت هند غرفة عفاف واخيرًا بعدما تخلصت من فاطمة والتي انشغلت في إعداد الطعام حينما أدركت عودة زوجها.

وحينها دخلت وجدت عفاف بملامح مقتضبة وحانقة جعلتها تشعر بوجود خطبٍ ما، تحركت صوبها تتوسط المقعد الذي جلبه أسامة سابقًا:

- ايه يا عفاف مالك؟؟ مكشرة كده ليه؟؟

نظرت لها عفاف وكادت تخبرها سبب غضبها من حديث أسامة الأخير معها، لكن قاطع ذلك دخول أسامة نفسه ومعه جلال الذي نظر للباب الخاص بالغرفة يهتف بصوت منخفض هامس:

- مش هتصدقوا عرفت ايه..

نظر له أسامة بعدم فهم، فهو حينما كاد يخرج من المنزل وجد جلال يمنعه مطالبًا إياه باجتماع هام لأجل معلومات جديدة اكتشفها للتو.

نظر له الجميع باهتمام شديد ليقول جلال:

- من شوية كنت مع تسنيم، اكيد أنتم فاكرينها، البنت اللي هتموت عليا دي واول ما تشوفني بتيجي ليا على طول.

زفر أسامة بحنق:

- خلاص يا جلال يا جامد ياللي مفيش بنت بتسلم من عيونك، انطق قول حصل ايه؟!

رمقه جلال بحنق شديد قبل أن يكمل:

- كنت بحاول اجرجرها في الكلام عن البيت ومش هتصدقوا قالت ايه؟!

صمت كي يزيد من حدة التشويق لديهم، فهو لا يأتي كل يوم بمعلومة كتلك، لكن أسامة مسح وجهه وقد شعر بقرب نفاذ صبره:

- طب ايه نستنى الحلقة الجاي عشان نعرف ولا نوصل الفيديو لـ ١٠٠ ألف لايك عشان تتنيل تنطق وتقول ايه اللي مش هنصدقه؟!

قال آخر جملة له بغضب جعل جلال يتراجع بقلق بعيدًا عنه مبتلعًا ريقه، نظر صوب باب الغرفة يتأكد أن لا أحد يسمعهم:

- تسنيم كانت بتقول إن أهل الست اللي اسمها فاطمة دي كلهم ماتوا بسبب البيت بتاعهم مش عفاريت زي ما قال جابر.

اعتدل الجميع وقد بدأ حديث جلال يأخذ منحنى جدي، أجبرهم على الانتباه له، وهذا ما عزز غرور جلال ليكمل الحديث بنبرة حاول جعلها غامضة ماكرة:

- قالت إنهم كانوا بيدوروا على آثار تحت البيت وحفروا حفرة عميقة اوي ولما نزلوا عشان يشوفوا اللي وصلوا ليه ابوها واخواتها التلاتة كلهم وقعت الحفرة فوق دماغهم، ومن بعدهم امها ماتت بحسرتها.

صمت يتذكر كلمات تسنيم جيدًا لا يوفر كلمة واحدة مما سمع:

- وحسب كلامها إن المقبرة دي مش عادية، دي حجمها كبير اوي واخد تقريبا نص القرية من تحت، لأنها مقبرة ملوك كتير.

كان أسامة يستمع لكلمات جلال ويحاول أن يقتطف منهم ما سيفيده، وهند كذلك الأمر، بينما عفاف قالت بجدية كبيرة:

- عشان كده...

نظر له أسامة والجميع بفضول لتنهض عفاف عن الفراش وهي تحاول أن تسند نفسها، تتحدث لهم بجدية كبيرة:

- عايزة اروح البيت، هند هاتي الشنطة اللي فيها الادوات بتاعتي

وتعالي معايا.

نظر لها أسامة بعدم فهم لتقول هي بجدية:

- هتأكد من اللي في دماغي وهقولك يا عو.

ودون كلمة تحرك أسامة ليساعدها وسار الأربعة خارج الغرفة في اللحظة التي أبصروا فيها شيخ البلد يخرج من إحدى الغرف ويرمق ما يحدث بتعجب.

- فيه ايه؟! واخدين البنية دي ورايحين على فين؟؟

كانت هند أول من اندفع لتفسير كل ذلك بشكل لا يدعو للشك:

- هي بس عفاف كانت وقعت على راسها واتصابت ولما خرجت من المستشفى تعبت تاني ومش عارفة تنام، فقولنا ناخدها للمستشفى تاني تبات فيها أفضل.

وسريعًا بدأت عفاف تتقمص دور المريضة وهي تتأوه متصنعة الوجع، بينما الشيخ لم يهتم كثيرًا حينما أقبلت عليه فاطمة ترحب به.

- ألف سلامة عليها، لو عايزين أخلى جابر يوصلكم أو حد من الغفر برة.

سارع أسامة بالقول:

- لا لا يا شيخ تسلم والله مش حابين نتعبك، احنا هناخد عربية ونتصرف.

تدخلت فاطمة في الحوار:

- مالها الدكتورة تاني كانت من شوية كويسة وقاعدة زي القرد على السرير جوا.

رمقتها عفاف بغيظ وغضب، لكن هند ابتسمت وهي تجبر عفاف على التحرك معها:

- هي بس تعبت شوية يا فاطمة، هناخدها للمستشفى عشان نطمن مش أكتر.

- طيب يا حبيبتي ربنا يطمنكم عليها يارب، خدوا بالكم من نفسكم وأنا هعملها لقمة تقوي بيها نفسها وابعتها مع أي واحد برة.

شكرتها هند تسند عفاف للخارج:

- تسلمي يا فاطمة متتعبيش نفسك...

خرج الجميع من المنزل تحت نظرات شيخ البلد الذي شعر بفاطمة تسحب عنه عباءته وعكازه وهو ما يزال ينظر للباب هاتفًا:

- حاسس أن شوية العيال دول وراهم حاجة، شكلهم مش مريحني.

قال بصوت مرتفع آمرًا فاطمة:

- ناديلي جابر يا فاطمة أما نشوف أخرة اللي بيحصل ده.

***

بمجرد دخولهم المنزل حتى تحركت عفاف بشكل عشوائي بين

ممراته، وأسامة تحرك واغلق الباب الرئيسي يراها تحاول أن تشتم شيئًا في الهواء، لكن خابت مساعيها حينما توقفت متخصرة في منتصف البهو تنظر بعجز حولها.

- في اليوم اللي دخلت فيه البيت وسألتكم شامين حاجة ولا لا، كان فيه ريحة قوية لمواد كيميائية هنا.

والجميع لم يفهم أي غرض من حديثها، لكن عفاف لم تتوقف في مكانها، بل أخذت تقتحم الغرف تباعًا تكمل حديثها:

- المواد دي درستها قبل كده، هي مجرد مواد كيميائية مخلوطة لا فائدة لها في الحالة العادية، لكن...

توقفت منتصف البهو تقول بأعين جادة غامضة:

- لكن بعض المتخلفين معتقدين أنها بديل للزئبق الاحمر وبيبيعوها للدجالين عشان يستخرجوا الآثار من غير ما يتأذوا من الجن حسب اعتقادهم.

أنهت حديثها مشيرة صوب جلال الذي أخبرهم منذ ثواني بطرف خيط كانت هي أول من سحبه، والجميع ينظر لها في ترقب لما تقول.

وعفاف لم تبخل عليهم بأي معلومة تعرفها من خلال دراستها:

- المادة دي بنسميها الزئبق الاحمر بتاع الغلابة، بعض الأشخاص بيجمعوا المكونات الكيميائية دي كلها ويصبوها في قوالب سيليكون تتجمد على شكل احجار ويصبغوها بمواد كيميائية حمرة، على أساس يعني هتخوف بيها الجن وكده.

أنهت حديثها بسخرية لاذعة والجميع يتابعها بشغف، قبل أن يرفع جلال يده مقتطعًا تلك اللحظات الجادة:

- معلش أنا فاهم كل ده، بس فيه حاجة واحدة محتاج اتأكد منها قبل ما اندمج معاكم في الكلام...

نظر له الجميع بانتباه ليقول جلال بتفقه شديد وجهل أراد أن يخفيه خلف كلمات ظنها هامة:

- يطلع ايه الزئبق الاحمر ده؟! مش هو الزئبق اللي في الجدول الدوري بتاع الكيميا ورمزه Hg ؟؟ أنا عارفه على فكرة أصل انا كنت شاطر في الكيمياء اوي.

رفعت عفاف حاجبها وهناك بسمة ارتسمت أعلى فمها تقول:

- لا الزئبق مش هو الزئبق الاحمر يا جلال، ازاي مسمعتش عن الزئبق الاحمر قبل كده؟!

رفعت هند يدها كجلال تتنحنح بصوت منخفض:

- أنا برضو كنت عايزة نفس السؤال بس مرضتش ابادر بالموضوع، لكن ربنا يكرمه جلال شايل استفسارات الفريق كله على كتفه.

ابتسم جلال بفخر، لا يفهم أكان ذلك مدحًا أم لا، لكنه أعجبه، وأسامة رفع يده مثلهم يقول بتردد:

- وأنا الصراحة يعني مش فاهم ايه الزئبق الاحمر ده وايه علاقته بالآثار والجن، أنا سمعت عنه قبل كده بس مفكرتش ابحث عنه أو أفهم.

تنهدت عفاف بصوت عالي تقول:

- الزئبق الاحمر هو مادة نادرة جدًا جدًا بتكون غالبًا موجودة داخل الصخور وبيتم استخراجها وبيعها بمبالغ وهمية، الجرام الواحد ممكن يعني ٦ مليون دولار.

اتسعت أعين الجميع بصدمة كبيرة وقد سقط الرقم على مسامعهم غريبًا، وهي أكملت بكل بساطة:

- أثناء الحفر على آثار بيحصل أن البعض بيلاقي صخور فيها زئبق احمر، أو بأي طريقة تانية ما علينا، بيعتقد بقي البعض أن الزئبق الاحمر يقدر يتحكم في الجن، وإن اللي معاه الزئبق ده يقدر يكون محمي منهم ويفتح المقابر بكل سهولة.

صمتت لترى ملامح الجميع حولها مبهورة بما قالت، لتتحرك مجددًا تكمل البحث في باقي الغرف وهي تكمل الحديث:

- لكن مفيش شيء معين أثبت كل ده، كل اللي نعرفه أن الزئبق ده بيدخل في النووي وعلاج بعض الأمراض المستعصية، ده علميًا، لكن التخاريف دي معرفش الحقيقة.

انتهت من حديثها ثم قالت بجدية:

- عشان كده لما شميت الريحة في اليوم إياه، جه في بالي بديل الزئبق الاحمر اللي البشر بيحاولوا بيه يخدعوا الجن، لأن الريحة اللي كانت موجودة هي نفسها ريحة المادة الكيميائية، اللي قال عليها جلال ريحة كمكمة.

توقفت أمامهم مجددًا وقد يأست أن تجد تلك الرائحة أو منبعها

مجددًا:

- واول ما جلال جاب سيرة الآثار اتأكدت من الموضوع.

نظر لها الجميع قبل أن يقول أسامة وقد جمع عقله سريعًا كل ما يحدث على هيئة معلومات مرتبة:

- معنى كلامك أنهم لسه بيدوروا على كنز، يعني الموضوع مش مقتصر على عيلة فاطمة، فيه ناس تانيين بيحاولوا يلاقوا الآثار دي.

ابتسمت له عفاف وهي توافقه، وقد بدأت هند تفكر وتربط باقي الخيوط في رأسها:

- معنى كده أن البلاط اللي كان في البيت ده كانت محاولات فاشلة لإيجاد الآثار صح؟؟

هز أسامة رأسه وهو يفكر في جميع الجوانب المتعلقة بالأمر، تنفس بصوت مسموع يطرح سؤالًا يشغله:

- طب لو كل ده حصل وكل ده حقيقة، ليه يدونا البيت لما هو مهم أوي بالنسبة ليهم، ومين اللي بيدور على الآثار دي، وايه علاقة كل ده بالأطفال؟؟

نظر الجميع لبعضهم البعض بتفكير شديد وقد شعروا أنه كلما وجدوا دليلًا، صعبت مهمتهم أكثر وأكثر.

نظر جلال صوب اللوحة التي علّق عليها أسامة من قبل بأن جابر يمتلك مثلها، وأشار لها يقول وقد تذكر ما رأى في منزل الشيخ:

- بيت شيخ القرية فيه لوحة زي دي بالضبط، أنا أول ما شوفتها افتكرت كلامك وقولت لازم اقولكم عشان لو ممكن يفيد.

حدق الجميع باللوحة في تعجب وقد بدأت الريبة تملأ صدورهم تتساءل عفاف بسخرية:

- هو اللوحة دي موجودة في كل بيوت البلد ولا ايه؟؟ يكونش إرث بينهم؟!

ضيق أسامة عيونه يقول بجدية كبيرة:

- معتقدش أن كل أهالي القرية عندهم الرفاهية عشان يمتلكوا لوحات بالشكل ده.

تحرك ببطء صوب الجدار الذي يعلوه العديد من اللوحات والصور الفوتوغرافية، توقف يتأملها لثواني يبحث فيهم عن شيء آخر قد يساعد، استمرت عيونه تتنقل بينهم دون فائدة، قبل أن ترتسم بسمة غريبة على فمه يقول مخمنًا وهو يشير صوب صورة عائلية بها فاطمة واخوتها ووالديها:

- هي موجودة بس في بيوت اللي ليهم مصلحة في خروج الآثار...

***

الفصل السابع

الحياة ليست بكل تلك السهولة التي نراها، ولا بذلك الحمق الذي يجعلها تضع أمام عينيك أسرارها دون مقابل، هي فقط كامرأة ماكرة تعلم متى تزيح غمامها عن عيونك، ومتى تجمع غيماتها حولك.

وفي تلك اللحظة التي أشار أسامة إلى اللوحة التي تضم جميع أفراد عائلة فاطمة، كانت الحياة قد أعطته إشارة الرضى...

لكن يبدو أنها لم ترض بعد عن باقي فريقه، إذ لم يفهم أحدهم ما يريده أسامة بجملته السابقة أو حتى بإشارته، وكالعادة تسلّم جلال راية الغباء والاستفسارات في الفريق:

- أيوة مالها اللوحة، وايه علاقتها بالآثار؟!

استدار لهم أسامة يحاول التقاط أي نظرة فهم قد تعلو وجوه أحدهم، لكن لا شيء، فقط نظرات فضول وبلاهة.

زفر حانقًا يرفع اللوحة عن الجدار، ثم اقترب منهم يرفعها في وجوههم قائلًا بتساؤل:

- محدش واخد باله من أي حاجة في اللوحة دي؟؟

نظر الثلاثة لبعضهم البعض، ومن ثم حدقوا في اللوحة بأعين متفحصة دقيقة، ثواني فقط هي ما مرت قبل أن تقول عفاف بتردد:

- فاطمة شبه امها اكتر؟!

نظر أسامة للوحة مجددًا، ثم رفع رأسه لعفاف يقول مبتسمًا بتهكم شديد:

- ايه ده بجد؟! تصدقي مكنتش واخد بالي؟؟ جدعة يا عفاف معلومة مهمة هتفيدنا اوي لو كنا بنعمل تحليل وراثة للعيلة.

صمت ثم صرخ بجنون وقد فاض كيله وأغرق المكان حوله، أصابعه تشير صوب نقطة معينة في الصورة وهو يضربها بغيظ شديد:

- اللوح اللي في الصورة يا أغبيه، العيلة وراها تلات لوح زي اللوح اللي بنتكلم عليها، التلاتة كانوا هنا في البيت ده، وبعدين اختفى اتنين وظهروا عند بيت شيخ القرية، وشيخ الغفر، ده معناه ايه؟؟

نظر الجميع لبعضهم البعض قبل أن تبادر هند وتطرح ظنها وشكوكها:

- هي اللوحة دي وراها حاجة اكيد، أصل مش صدفة أنها تكون عند الاثنين، وجودها في بيت شيخ القرية عادي شوية باعتبار إن البيت ده ملك فاطمة دلوقتي ودي املاكها، بس شيخ الغفر؟؟

نعم هذا ما يود أسامة الوصول له، ما علاقة شيخ الخفر بذلك المنزل والقضية، وما علاقة المنزل بالقضية، وأمر الآثار ذلك يثير ريبته حول أمرٍ ما يتمنى أن يخيب ظنه بشأنه.

قالت عفاف مشاركةً إياهم التفكير بكل جدية:

- يعني كده خلاص جابر بقي اول متهم نتأكد من علاقته بالجريمة؟؟

نظر لها أسامة يهز رأسه بشرود:

- ده احتمال وارد بنسبة ٩٩٪ يا عفاف.

تسائل جلال بسخرية:

- يعني هي جات على الـ ١٪؟؟

- أوعى تستهتر بالواحد ده يا جلال لأن احيانًا كتير بيخونك الـ ٩٩ ويتفضلك الواحد هو اللي بيتأكد ليك.

وكان دور هند أن تبتسم بخبث وقد فهمت ما يرنو إليه أسامة:

- واللي هيأكد الواحد ده هو ...

هز أسامة رأسه يكمل باقي جملتها المتعلقة بمكر يفوقها:

- كريم.

***

يوم اضافي يمر حاملًا معه العديد والعديد من الألغاز التي اضافوها لقائمة الالغاز في تلك القرية الغريبة، لكن طالما أن العو وفريقه قد وضعوا الأمر بعقولهم، فلا سبيل إلا حله، حتى لو كان غباؤهم هو الوسيلة للوصول إلى ذلك الحل.

احيانًا يساعده غباء فريقه في كشف الكثير والكثير من الغموض؛ لذلك هو لا يبتأس كثيرًا بشأن تصرفاتهم، طالما أنهم يساعدون بكل ما يستطيعون..

خطى أسامة الممر المؤدي لغرفة كريم عاقدًا العزم على معرفة أكبر قدر ممكن من الإجابات التي يسعى خلفها مع فريقه العزيز، تاركًا الباقيين يصولون ويجولون بين طرقات القرية بحثًا عن إجابات

أكثر.

توقف أمام الغرفة يتنفس بصوت مرتفع، وقد رمق ما يحمل بين يديه بطرف عينه مبتسمًا، دفع الباب ببطء شديد يدعو ويبتهل ألا يكون هناك مرافق له، وخابت آماله حينما أبصر شابًا ينام أعلى مقعد جوار الفراش الخاص بالصغير.

اقترب منهم بخطوات هادئة محاولًا ألا يثير فزع أحدهم، وما كاد يصل للفراش حتى انتفض الشاب ينظر حوله بأعين ناعسة:

- ايه؟؟ مين؟!

أشار له أسامة بكفه مُطمئنًا إياه:

- أهدى أهدى، أنا قريب والد كريم وجيت اشوفه.

كلمات غير مرتبة تمنى أن تقنع ذلك الشاب الذي كان يرمقه بنعاس شديد، لكن فجأة وجده ينهض يقول فاركًا وجهه:

- أيوة أيوة أنا عارفك، شوفتك لما جيت امبارح مع شيخ الغفر تشوف كريم.

- أنت بتشتغل هنا ولا أنت حد من العيلة؟؟

ابتسم الشاب يقول بكسل شديد يتمطأ:

- أنا أبقي سمير الممرض المسؤول عن ابن شيخ الغفر، أنت الدكتور بتاع التطعيمات اللي في البلد صح؟!

ابتسم له أسامة يمد يده ليرحب به بكل هدوء يدعي هيبة طبيب على أمل أن يصدقه ذلك الشاب:

- أيوة فعلًا، اتشرفت بيك.

ابتسم له الشاب بلطف يبادله المصافحة، ينفخ صدره في حركة أراد بها فرض وجوده في تلك الغرفة:

- الشرف ليا يا دكتور، أنت جاي عشان تشوف كريم؟!

تنحنح أسامة يقابل السؤال الذي دعى ألا يُسأل، يرفع كفه الذي يحمل بعض الحلوى لكريم:

- أيوة أنا كنت معدي من هنا قولت اجي اشوف كريم لو صاحي يعني اطمن عليه.

أشار له الشاب بتعب شديد وقد بدا على ملامحه أنه قضى ليلة طويلة مرهقة، بينما الأخير كان بالفعل لا يقوى على فتح عينه مردّدًا:

- أيوة أنا الوردية بتاعتي امبارح كانت مع كريم، وهو طول الليل عمال يعيط ويحلم بكوابيس ومنامش غير بعد الفجر.

ها هي فرصتك يا أسامة تلوح أمام عيونك، فأحسن استغلالها.

- ليه خير؟؟ كوابيس ايه دي؟؟

نظر له الشاب يقول بنبرة عادية:

- عادي يا دكتور كل العيال بتشوف كوابيس كده، هو كريم من وقت ما جه وهو كل يوم مينيمنيش بسبب التخاريف والكوابيس بتاعته، بيفضل يقول فزاعة وينادي اسماء غريبة.

اقترب أسامة منه يتساءل بفضول لم يحسن لجمه بعقال الصبر:

- أسماء غريبة؟؟ اسماء ايه؟؟

هز سمير كتفه دون علم:

- أنا معرفش والله يا دكتور، مش بكون مركز معاه اوي، المهم أنت هتقعد معاه؟؟

صمت أسامة ليستكمل الشاب حديثه برجاء:

- عايز بس اروح الحمام وأفطر وبعدين ارجع، لأحسن خلاص مبقتش قادر اقعد اكتر من كده.

هز أسامة رأسه بهدوء شديد وهو يحدق في وجه كريم وقد فكر في أمرٍ ما، لكن لا يريد أن يتسرع به، كي لا يثير الشكوك حوله.

- اكيد روح وأنا هستناك هنا، أنا كده كده فاضي انهاردة شوية.

شكره الشاب مهرولًا للخارج على عجالة قبل أن يغير أسامة رأيه، وأسامة تحرك بخطوات متمهلة يجلس أعلى المقعد الخاص بالممرض، يعيد رأسه للجدار مغمضًا عينيه:

- الموضوع كل مادا بيصعب أكتر، والله خايف في الآخر اطلع أنا اللي خطفت العيال دي.

انتبه أسامة من بين أفكاره الحانقة على أصوات خافتة جواره، استدار ببطء لفراش كريم ليرى ملامحه منعقدة ومقتضبة وكأنه يرى ما لا يسره داخل أحلامه.

اقترب منه أسامة ببطء يهمس مربتًا أعلى رأسه ربتات حنونة:

- وأنت ايه اللي شوفته خلاك توصل للمرحلة دي يا كريم؟؟

***

جلس جلال أسفل إحدى الأشجار يستظل بأغصانها الوارفة رافضًا أن يخطو خطوة إضافية بعيدًا عن ذلك المكان الرطب والرائع، وعفاف كانت أول من يوافقه الرأي، إذ جلست ارضًا تتنفس بصوت مرتفع:

- أنا من رأيي نرجع البيت ونستنى أسامة يرجعلنا بأي خبر، أصل الموضوع خلاص بدأ ينحصر وبدأنا نعرف اللي فيها وجودنا هنا ملوش فايدة.

رفضت هند أن تنضم لهم في ذلك الحزب المعارض لكل شيء- رغم رغبتها الشديد في ذلك- آمرة إياهم أن ينهضوا لاستكمال ما يحدث، لكن فجأة صمتت تحدق في نقطة بعيدة قليلًا عنهم بشكل جذب انتباه عفاف لتنظر حيث تحدق هي.

أبصرت الفتاتين جسد امرأة يتشح بالسواد من خصلات شعرها لأخمض قدميها، تسحب طفلًا خلفها وتسير لمنطقة يبدو أنها غير مأهولة بأحد.

اتسعت عين عفاف تنتفض من مستقرها، تشير لهند أن تركض صوبها، ضاربة بيدها كتف جلال الذي لم يتعب نفسه حتى بالالتفات ورؤية ما يحدث:

- أنت يا زفت قوم خليك معانا.

نظر لها جلال بحنق شديد ولم يكد يتحدث حتى أبصر الاثنان جسد هند يندفع كالرصاصة من جوف المسدس، تركض ركض

الوحوش في البرية وهي تصرخ بصوت مرتفع جنوني:

- اقفي مكانك، اقفي عندك واخدة الولد ورايحة فين؟!

لحقت بها عفاف بسرعة كبيرة وكذلك فعل جلال الذي لم يفهم شيء بعد، لكنه ركض كما ركض الجميع، لحق بهم مهرولًا وقد كان ذلك الجزء من القرية هادئًا بشكل مخيف، إذ لم ينتبه أحد لصراخ هند، أو ربما تجاهلوه عمدًا.

اقتربت عفاف من تلك المرأة جاذبة ذلك الغطاء الاسود الذي تغطي به وجهها لتشهق المرأة مستنكرة فعلتها.

لكن هند لم تهتم لذلك تسحب الصبي من بين يديها بعنف صارخة:

- أنتِ واخدة الولد ورايحة بيه فين؟!

استنكرت السيدة ما تفعل هند، وقد جذبت بدورها الصبي لها مجددًا:

- أنتِ مين وبتعملي ايه؟؟ سيبي الواد.

في تلك اللحظة وصلت عفاف تتنفس بصوت مرتفع تحدق في وجه تلك المرأة التي تعرفت عليها جيدًا:

- أم محمد؟؟

نظرت لها أم محمد وهي نفسها تلك المرأة التي كانت تجوب طرقات القرية تنتحب وترثي طفلها مجدي.

- أنتم عايزين ايه من ابني؟؟

نظرت عفاف لهند التي شعرت بالغباء والتسرع فجأة، لكن ما عساها تفعل وكل العلامات التي يليها خطف، قد تمثلت بتلك المرأة؟!

اعتذرت عفاف بخفوت شديد وهي تربت على كتف محمد ذلك الصبي الذي سبق وقا...

توقفت فجأة عفاف حينما أبصرت وجه ذلك الطفل، ثم رفعت رأسها للسيدة بسرعة تتحدث بنبرة حاولت جعلها عادية:

- معلش يا أم محمد بس هند فكرت حد بيخطف العيل ولا حاجة متعرفش إنه محمد ابنك.

جذبت أم محمد الصبي لأحضانها بقوة وهي تحدق فيهم بريبة شديد، ثم هزت رأسها دون أن تتحدث بكلمة وقالت:

- حصل خير، عن اذنكم.

وتحركت بهدوء من أمامهم تسحب الصبي الهادئ خلفها ويبدو من ملامح الريبة أعلى وجه " أم محمد" أنها لم تتذكر عفاف، هل أثرت الضمادة حول رأسها على ملامحها؟!

كانت السيدة تسير وخلفها الطفل الذي استدار لهم يراقبهم بفضول وهي فقط كانت تحدق في وجهه بشك كبير.

استفاقت على صوت عفاف التي قالت:

- الست دي بجد غريبة اوي، مش فاهمة بتبصلنا كده ليه كأننا هناكل ابنها.

قالت عفاف بكلمات غامضة:

- مش لما يكون ابنها الاول.

نظرت لها هند في الوقت الذي وصل لهم جلال بعدما كان يسير الهوينة صوبهما وكأنه في نزهة أو ما شابه:

- ها مسكتوا الحرامية؟!

رمقته هند مغتاظة قبل أن تهبط بيدها أعلى كتفه غاضبة:

- وأنت بقى لسه جاى دلوقتى؟؟ مش قولنا تجرى ورانا؟؟

تأوه جلال يفرك كتفه بغيظ:

- وأنا اجري ليه ما كده كده أنتم جريتوا ووصلتوا خلاص، اتعب نفسي ليه؟؟ أنا بوفر طاقتي لحاجة تانية.

سخرت منه هند وهي تعود بنظراتها صوب عفاف التي كانت ما تزال تحدق بأثر تلك المرأة:

- أفضل أنت وفر في طاقتك كده لما تحمض منك.

قالت توجه حديثها لعفاف:

- وأنتِ يا ست الغامضة يعني ايه مش ابنها؟؟

أجابت عفاف ببساطة:

- مش ده نفس الولد اللي طعمناه أنا وأسامة، التاني أكبر من ده، ده مش محمد ابنها...

***

في المساء وفي نفس مكان التجمع المعتاد لهم، كان أسامة يتحرك

بنفس الطريقة التي يكررها كلما أراد التفكير في أمرٍ ما.

- يعني هي كانت خطفاه؟!

نفت هند ذلك الاحتمال بقوة:

- مكانش الولد هيسكت ويمشي معاها بكل هدوء كده كأنه رايح فسحة، ممكن يكون مش ابنها بس قريبها عادي وكانت رايحة معاه لمكان.

اقترحت عفاف ما تفكر به دون أي مواراة:

- أنا موافقة على موضوع أنه قريبها، بس برضو شاكة أنها هتعمل حاجة، وإلا كانت ليه متوترة وعصبية بالشكل ده؟؟

جلس واخيرًا أسامة يستند على ركبتيه بكلتا يديه وقد أصبح الأمر مريبًا، كل ثانية يدخل أحد أهالي القرية لدائرة الشك.

- كريم ابن جابر عرفت أنه بيخترف بأسماء وهلاوس كتير عن الفزاعة، وكون أنه بينطق اسماء خلال كوابيسه، معناه أنه يعرف الشخص اللي بيهلوس عنه شخصيًا، يعني اللي حاول يخطفه حد قريب منه، ومفيش غير جابر اللي قريب منه وموضع شك.

نظر جلال للجميع يحاول معرفة إن كان هو الوحيد الذي يشعر بالتشتت هنا أم لا قبل أن يستفسر بهدوء:

- طب وده معناه ايه؟؟ نقبض عليهم كلهم وخلاص؟؟

نفى أسامة ذلك الاحتمال الغبي وقد اسودت عيونه بنظرات غريبة، يعود بظهره للخلف قائلًا بهدوء مريب:

- الليلة هنوقع اول طوبة في قلعة الغموض دي.

رمقه جلال ببلاهة وكذا الجميع الذين نظروا لبعضهم يحاولون معرفة ما يريد أسامة والذي يدفعه عقله في كثير من الأحيان لأمور مريبة.

أخبرهم أسامة راحمًا فضولهم الذي كان يتغذى عليهم:

- انهاردة هنتقسم ونراقب كل شخص مشكوك فيه، ونراقب بيوتهم ونشوف مين فيهم اللي هيقطعلنا الشك باليقين...

***

وحدث كمان خطط أسامة، هو ذهب لمراقبة كريم والبقاء جواره طوال الليل على أمل أن يلتقط اسم من تلك الأسماء التي تحدث عنها سمير الممرض.

وعفاف ذهبت لمنزل جابر تراقبه، وجلال وُكل إليه مراقبة منزل العمدة، واخيرًا كانت مراقبة "أم محمد" من نصيب هند.

كان أسامة يجلس مرافقًا لكريم يتحدث مع الممرض ببسمة حاول أن يظهرها عفوية:

- أصل أنا متعلق بالأطفال اوي، وكريم بيفكرني بعيال اختي اللي معنديش أغلي منهم في حياتي، عشان كده بضعف قصاده وحابب اكون جنبه واساعده.

ابتسم سمير وهو يضع صينية الطعام أعلى الطاولة المجاورة لأسامة يقول بجدية وامتنان كبير:

- والله يا دكتور مش عارف اشكرك ازاي على خدمتك دي، مش هنساها أبدًا، أنا كنت هموت وأغمض عيني شوية، فلو يعني مش هزعجك ممكن أريح شوية لغاية ما أنت تقعد مع كريم.

ابتسم أسامة بسمة واسعة وقد نال مراده الذي جاء لأجله، أحيانًا يفتح لك الكسالى أبواب مغلقة ظننت أنها لن تُفتح يومًا في وجهك.

سارع سمير بالهرولة للخارج مردِّدًا:

- الاكل عندك انا شوية وهمر عليه.

اعتدل أسامة في جلسته ينظر للصغير يرى ملامحه الخاوية يحدق في السقف أعلاه، تنفس بصوت مرتفع، يميل قليلًا هامسًا:

- كريم.

ولم يصدر عن كريم أي حركة قد تدل على استماعه لما يقول أسامة، هو فقط ما يزال أسير تلك اللحظة، حيث كان واقفًا خلف إحدى الأشجار يراقب بأعين متسعة رفيقه يُسحب من ساحة اللعب بعد مغادرة الجميع، ابتعد بخطوات للخلف يحاول التنفس من الصدمة، يود الصراخ، لكن لم يستطع فعلها ابتلع ريقه يستجمع شجاعته للصراخ، لكن فجأة شعر بمن يمسك به من الخلف ويكمم فمه، وما كاد ينتحب ويولول حتى سمع صوتًا مألوفًا قذف في صدره أملًا أحمقًا، وسرعان ما تبدد ذلك الأمل حين همس له الصوت بنبرة مرعبة:

- أنت مشوفتش حاجة يا كريم، مشوفتش حاجة وإلا هتحصل صاحبك.

أقترب أسامة أكثر من رأس كريم يحاول إخراجه مما يسجن به نفسه، يهمس بصوت منخفض حنون:

- كريم أنت سامعني؟!

همس كريم بصوت خافت غير واعي لأي شيء حوله:

- هو هياخدني زيهم، هو قالي كده.

- مين ده يا كريم؟؟ مين ده اللي عايز ياخدك؟؟

استدار كريم برأسه صوب أسامة يهمس له بصوت خافت واعينه غائرة تبحر في الفضاء حوله بلا مرسى تستقر عليه:

- أنا خايف منه اوي، كل يوم بيجي يخوفني ويقولي هياخدني عند الكل.

استبدت الحيرة بأسامة الذي تسائل بفضول شديد نفس سؤاله السابق الذي لم يجد له صدى لدى كريم:

- هو مين ده يا كريم؟؟ قولي عشان اساعدك.

هبطت دموع كريم بقوة وقد بدأت حالته الهيستيرية تعود له وهو ينتحب بصوت يقطع القلوب:

- هيجي يا خدني، أنا مش عايز اروح ليه، هو كل يوم بيجي يقولي كده.

امسك أسامة يديه وهو يحاول إخراجه من تلك الفقاعة السوداء الذي يسجن نفسه داخلها، لقد كان الصبي على وشك الانهيار.

- اششش خلاص يا كريم أهدي، أنا جنبك أنا هناك عشان احميك منه واساعدك، بص أنا معايا مسدس لو قرب منك أنا هقتله.

توقف كريم عن التحرك ونظر حيث يشير أسامة، أبصر سلاحه لتتسع عيونه وقد عمد أسامة على الحديث معه بطريقة يعلم أنها تؤتي ثمارها مع الصبية خاصة في عمره.

نظر له كريم بأعين متسعة:

- هو أنت... أنت ظابط؟؟

صمت أسامة ثم مال عليه أكثر هامسًا:

- أيوة، بس متقولش لحد؛ عشان ده سر ماشي؟!

وكأي صبي في عمره نشأ على افلام الاكشن وترعرع على ألعاب القتال، شعر كريم بالحماس وتناسى ما حدث وكأنه حاز تصريح يفيد بإنقاذه.

- أنت... أنت هتقتله زي الأفلام؟!

نظر له أسامة بغموض مستفسرًا:

- أنت عايزني اقتله زي الافلام؟؟

صمت الصغير بعض الوقت، وشرد وكأنه يبحث عن إجابة قبل أن يقول ببساطة وبراءة طفل لم يتم العاشرة من عمره بعد:

- لا مش عايزك تقتله عشان ماما هتزعل.

ها نحن ذا أسامة، هذه فرصتك الذهبية، استغلها..

- ليه هي ماما تعرفه؟؟

صمت كريم ليسارع أسامة ويقول بجدية:

- هو أنت تعرفه يا كريم؟؟

هز كريم رأسه وقد بدت إمارات الرعب تعلو وجهه مرة أخرى، وأسامة سأل مجددًا:

- هو حد من عيلتك يا كريم؟؟؟

نطق كريم بتردد وخوف شديد:

- أيوة...

***

كانت عفاف مستقرة خلف إحدى الأشجار أمام منزل جابر، تحاول أن تتبين أي شيء مثير للشك أو الريبة، لكن الحصيلة... لا شيء.

الأمور طبيعية والأجواء هادئة بشكل معتاد في مثل تلك القرى الريفية المنعزلة.

استمر الأمر ساعة تقريبًا، وقبل أن تتم الساعة التالية سمعت صوت سيارة تقترب من المنزل، تحفزت بكل ما فيها، ترى جابر يتوقف بسيارته أمام المنزل، ثم هبط منها يتحرك بتكاسل شديد صوب المنزل.

راقبته باهتمام تراه يدخل، ومن ثم غاب دقائق وبعدها ظهر جسد آتيًا من خلف المنزل يتشح بالسواد، شعرت عفاف بالادرينالين يندفع وبقوة بين أوردتها وهي تراقب ذلك الجسد الطويل نسبيًا يتحرك

بعيدًا عن المنزل، لتسير خلفه بكل هدوء حريصة كل الحرص ألا تفتعل صوتًا قد يشي عليها وما تفعل.

وبالخروج لأحد الشوارع الرئيسية وأسفل اضواء الطريق، شعرت عفاف بأن تلك البنية الجسدية مألوفة لها وبشدة، هو نفسه أحد الأشخاص الذي هجموا عليها سابقًا حينما كادت تمسك بهم.

كان الجسد يلتفت كل ثانية وأخرى للخلف بريبة وكأنه يشعر بمراقبته، لكن عفاف لم تكن بالحمقاء لتدع له فرصة الإمساك بها.

سارت خلفه حتى وجدته ينحرف في منطقة نائية بعيدًا عن المنازل، أمر جعلها تتردد للحظات، لكنها تابعت السير خلفه دون أن تتوقف..

وكل عقلها يدور حول أنها على وشك الامساك بجابر متلبسًا.

***

تسير بخطوات غير محسوسة، كما لو أنها لا تطأ الأرض، بل تطير بخفة شديدة، وهذه إحدى مميزات هند.

ابتسمت تسير خلف "أم محمد" بحرص شديد، وقد صدق حدسها الأول حول تلك المرأة، هي تفعل شيئًا مثيرًا للريبة، وإلا ما الذي يجعلها تترك منزلها في مثل هذا الوقت وتسير داخل الحقول التي تبدو كما لو أنها خارجة من أحد افلام الرعب؟!

فجأة توقفت " أم محمد " بشكل جعل هند تختفي في ثواني خلف إحدى الأشجار تكتم أصوات تنفسها، وأم محمد نظرت حولها بريبة قبل أن تنحرف فجأة صوب أحد الأكواخ التي تتوسط الأراضي

الزراعية عادة.

وحينما استمعت هند لصوت خطوات المرأة يبتعد عنها، خرجت من مخبئها تنظر حولها بدقة، لتلحظ اختفائها.

والآن ماذا؟ أين ذهبت تلك المرأة، كانت هنا منذ ثواني فقط وفجأة..

توقفت افكار هند حينما وصل لاذنها صوت تمتمات خافتة، اصوات شعرت بها قريبة؛ لذا ودون تفكير تحركت جهة الصوت بخطوات حذرة، إذ كانت الاصوات صادرة عن كوخ من القش يتوسط الأرض وبه إضاءة صغيرة.

توقفت على مقربة من الكوخ تحاول استغلال طريقة صناعته والتي تحتم وجود أماكن فارغة بين العود والآخر، نظرت للداخل تلاحظ خيال أم محمد، وخيال آخر لشخص غير معروف هويته، ومن ثم سمعت شهقة صادرة عن المدعوة أم محمد.

- يعني ايه؟؟ أنتم بتضحكوا عليا؟؟ أنا وثقت فيكم وعملت اللي طلبتوه، فين ابني؟؟ لا ده انا اوديكم كلكم في داهية.

فجأة بدأت تبكي وتصرخ:

- قولتوا عايزين عيل كمان قصاد ابني وجبتلك عيل، ده أنا... ده أنا جبتلكم ابن اختي، فين مجدي، فين ابني؟؟

اتسعت عيون هند تحاول تحليل ما تراه بسرعة كبيرة، وحديث تلك المرأة يقتحم عقلها مسببًا صدمات متتالية، هل أوصلها حب طفلها لتلك المرحلة، أن تضحي بابن شقيقتها؟؟

فجأة توقفت أفكارها حينما رأت خيال لجسد ينعكس بسبب المصباح اليدوي الذي تحمله يتحرك مقتربًا من تلك السيدة الباكية، ينحني الجسد لها، ثم همس لها بكلمات لم تصل لهند إلا كتمتمات خافتة، ومن ثم اعتدل وتحرك بكل بساطة بعيدًا عنها، تاركًا تلك السيدة المنكوبة منهارة ارضًا.

اختبأت هند بسرعة تتجنب أن تُكشف من ذلك الجسد الذي تحرك خارجًا يحمل مصباحًا يدويًا يبدو مميزًا لعيونها، لكنها لم تهتم بالأمر بقدر ما اهتمت بأم محمد التي كانت تبكي داخل الكوخ منهارة وبشدة.

كانت تجلس ارضًا وقلبها ينبض برعب تطحن أظافرها في الأرض الرميلة أسفلها، ثم مالت بنصف جسمها تدفن وجهها، لا تدري حسرة أم خزيًا، وفجأة أطلقت صرخة مكتومة مكلومة، تعض أصابعها ندمًا، وتلطم وجنتيها رعبًا مما جنت على نفسها، ويلها طفلها وويلها ابن شقيقتها.

وكهند المدافع الاول عن حقوق المرأة في هذا العالم القاسي، تحرك قلبها شفقة عليها تراقبها من بين الاعواد تترقب أن تنهض وتتحرك، وحدث ذلك بعد ربع ساعة من البكاء المتواصل.

لحقت بها هند بخفة شديد وقد رفضت أن تتحدث معها في ذلك الكوخ مخافة أن يعود صاحب الجسد والمصباح الزيتي مجددًا.

وحينما أصبحت أم محمد على أعتاب منزلها مستنزفة القوى، مرهقة النفس، تصنم جسدها على صوت خلفها يتحدث بهدوء ونبرة

غامضة:

- يعني عشان تنقذي ابنك ترمي ابن اختك؟! ويا ترى بقي رجعوا ليكِ ابنك؟؟

استدارت أم محمد بفزع شديد صوب ذلك الصوت تضم طرف حجابها الطويل على نصف وجهها وكأنها بذلك تخفي هويتها، لتتسع عيونها وهي ترى هند مستندة إلى جدار منزلها تحدق بها مبتسمة...

يجلس حاملًا بين يديه ذلك الكوب الحراري الذي يُستخدم في عزل المشروب داخله عن البيئة المحيطة فقط ليحتفظ بدرجة حرارته الأصلية.

يرتشف منه بكل هدوء جالسًا أسفل شجرة مقابل منزل شيخ البلد يراقب باب منزله بكل حرص، وكل ثانية يتحرك صوب الباب الخلفي الذي أخبرته عنه عفاف.

وفجأة أثناء سيره صوبه توقف على صوت حركة غريبة في تلك المنطقة جعلته يغلق الكوب بسرعة ممسكًا به في قوة كبيرة، ثم تحرك صوب الصوت بحرص.

وجد جسد صغير يتحرك في الظلام، اقترب منه بخفة يضيق عيونه لمعرفة ما يحدث في المكان، حتى اتضح الأمر.

نهضت تسنيم بعدما انتهت من ترتيب بعض الأثاث المتحطم خلف المنزل، ولم تكد تلتقط أنفاسها وتجفف عرقها، حتى شعرت بجسد يرتمي عليها مسقطًا إياها ارضًا كلاعبي المصارعة الحرة.

شهقت تسنيم ولم تكد تطلق صرخة لتشعر بيد توضع فوق فمها

وصوت مألوف يهمس في أذنها:

- اششش أي صوت هتعمليه هطير قصاده رقبتك.

اتسعت عين تسنيم بفزع وبدأت تلطم وجنتيها برعب شديد تحاول التنفس والحديث معه أنها هي نفسها تسنيم، لكن ذلك الجلال البارع نهض وهو ما يزال يكمم فمها بيد والأخرى يحمل كوبه يرتشف منه بعض الرشفات، ثم قال بنبرة تقصد أن تظهر مرعبة:

- من الافضل ليكِ تهدي كده وتعترفي على كل حاجة.

رفعت تسنيم عيونها تحاول أن تجبره على تركها، وحينما يأست رفعت قدمها تضربه في معدته صارخة بغضب:

- أنت يا غبي اعترف بأيه وأنت كتمت نفسي وقربت تخلص عليا.

كانت تتحدث أثناء تنفسها بصوت مرتفع لتتسع عين جلال هامسًا بصدمة:

- تسنيم؟؟

- أيوة تسنيم.

رسم أعلى ملامحه صدمة وغضب وخيبة أمل قائلًا:

- آخر شخص كنت اتوقع منه الحركة دي، أنا اللي عطيتك الأمان وفشيت ليكِ أسراري تعملي فيا كده؟!

رمقته تسنيم باستهزاء لا تدري ما يقصد، تعتدل في جلستها وتعيد ترتيب ثيابها التي أفسدها:

- أنت عبيط يا سي جلال؟! هو أنت قولتلي حاجة اساسا؟! بعدين مالك كده ولا كأنك قفشت مراتك بتخونك، حركة ايه دي اللي متوقعتش اعملها؟؟

نظر لها بدقة ثم قال مشيرًا لخلف المنزل:

- هو سؤال وعايز أجابه صريحة بدون لف ودوران، كنتِ بتعملي ايه من شوية ورا البيت في الوقت ده وبجلبية وطرحة سودة؟؟

نظرت تسنيم لنفسها بعدم فهم، ثم رفعت نظرتها له تقول بهدوء:

- أنا كنت برتب الكراكيب وبخرج الحاجات اللي مش لزمانا، أنت بقي بتعمل ايه هنا وعامل نفسك ولا الظباط كده ليه؟! بعدين كل الستات هنا بتلبس عبايات سودة.

نظر لها يشعر بمدى غبائه، لكنه لم يصرح أو يظهر ذلك، بل فقط قال بمكابرة:

- أنا.. أنا بس كنت معدي من هنا وسمعت صوت غريب و...

وقبل أن يكمل حديثه سمع الاثنان صوت اقتراب أقدام، نظر لها بريبة وبدون أن يتحدث بكلمة جذب جسدها بسرعة كبيرة يختفي بها خلف إحدى الارائك المحطمة، واضعًا كفه أعلى فمها محذرًا إياها من الحديث بكلمة واحدة وهو يراقب الطريق المؤدي للباب الخلفي، يرى جسد أنثوي الهيئة يتشح بالأسود حاملًا مصباح زيتي، يتحرك صوب مدخل المنزل بخطوات هادئة.

كل ذلك وأعين جلال توثق كل خطوة، يراقب ويتفحص في هيئتها يحاول معرفة من هذه، ولم يعلم أن سؤاله ثُرجم على هيئة

كلمات:

- مين دي؟؟

هممهمت تسنيم بكلمات مكتومة ليحدق بها:

- بتقولي ايه؟!

ضربت يده مغتاظة منه ومن كل ذلك الغباء الذي يدخره لنفسه فقط:

- أنت مش بتفهم؟! هتكلم ازاي وأنت حاطط ايدك فوق بؤقي؟!

اعتذر منها وقد نسي الأمر تمامًا:

- اه معلش ما اخدتش بالي، هو اللي دخل ده كان فين كده؟؟

ورغم أن السؤال كان واضحًا أنه فضولي، وربما يثير الشكوك في صدور البعض، لكن ليس تلك الفتاة البسيطة العادية والتي لا تفقه في هذه الحياة من النفوس سوى القليل، إذ قالت حانقة:

- دي تلاقيها كانت بتزور قبر عيلتها كالعادة، هي بتحب تزورهم بليل كده، مش عارفة هي مستحملة تمشي ازاي بين المقابر؟! يا لطيف يارب ده أنا جتتي بتتلبش على السيرة بس.

نظر لها بفضول أكبر من ذي قبل:

- هي مين دي اساسا؟؟

أجابت تسنيم بكل بساطة وهي تعدل وضعية حجابها:

- ستي الصغيرة، الست فاطمة مرات شيخ البلد.

***

تسير خلفه منذ ساعة تقريبًا حتى بدأت قدمها تؤلمها، وقد بدأت تبتعد بالكامل عن البلدة، لا ترى لها ملامح سوى بعض الاضواء القليلة التي تنتشر في شوارعها

تبًا لك جابر، ارهقتني وأصبت قدمي بالألآم ستأخذ العديد من الأيام لتبرأ منها.

توقفت أمام المنزل الذي خطى له جابر لتبصر أنه يبدو كبيرًا كما منزل العمدة ومنزل عائلة فاطمة، على عكس منازل باقي القرية.

ولم تكد تخطو حتى زفرت تستشعر رطوبة وشيء بارد تغرس به لتقلب عيونها حانقة وبشدة على ما يحدث، نظرت أسفل أقدامها لتجد أنها دهست بركة وحل.

انكمش وجهها باشمئزاز تحاول تبين هوية ما دهست به، منحنية بعض الشيء:

- دى طينة ولا مخلفات حيوان؟؟

وأثناء انحنائها بذلك الشكل سمعت صوتيًا جوارها يهمس بطريقة غريبة:

- لا متقلقيش يا دكتورة دي طينة عادي.

رفعت عفاف نظرها بسرعة صوب ذلك الصوت لتبصر جسدًا طويل عريض المنكبين بعض الشيء، هو نفسه الذي كانت تلاحقه، لكن وعلى اضواء المنزل أدركت أنه يمتلك جسد جابر، لكنه ليس بجابر.

ابتلعت ريقها بريبة ترى ذلك الجسد ينحني ارضًا جالسًا القرفصاء أمامها، لتبصر فجأة آثار جروح أعلى يده، نفسها الجروح التي تسبب بها لذلك الرجل الذي حاول اختطاف الصبي الأخير.

وصاحب الجسد ردد بنبرة مرعبة يحدق في وجهها بشكل مثير للفزع:

- شكل الضربة بتاعتة المرة اللي فاتت مجابتش نتيجة معاكِ.

اتسعت عيون عفاف وهي تتبين الملامح أكثر وأكثر، والجسد والهيئة تشبه جابر بشكل كبير، لكنه لم يكن جابر ابدًا، إذن كيف خرج من منزل جابر؟؟

***

- هو مين يا كريم؟! مين من عيلتك بيخوفك.

ارتجف جسد كريم بقوة وقد بدأت عيونه تجحظ خوفًا، شعر دمائه تجف داخل عروقه وهو يتذكر النظرات التي سرقت منه النوم لليالى طويلة، وأسامة أدرك جيدًا أنه على وشك الدخول فى موجة خوف أخرى قد تعطل كل شيء وصل له؛ لذلك صعد الفراش وجلس جواره يربت خصلاته ونظر في عيونه نظرات مطمئنة مبتسمًا بسمة صغيرة له:

- قول يا كريم متخافش، أنا مش هأذيه، أنا بس عايزة أكلمه واقولها ميخوفكش تاني وإلا هحبسه.

نظر أن كريم بشك وكأنه يسأله صدقًا، يطالبه بوعدًا، ليهز له أسامة رأسه بخفة وقد أبى الحديث عن شيء لن يكون قادرًا على الايفاء

به.

والصغير اطمأن له ولنظراته ونظر حوله يتبين إن كان هناك من يستمع لهم أم لا، ثم اقترب أكثر من أسامة يهمس بصوت مرتفع يوضح مدى الرعب الذي زرعه ذلك الشخص داخله، ابتلع ريقه ناطقًا بخفوت:

- عبد الرحيم أخويا الكبير، هو... هو الفزاعة اللي بيخطف كل العيال...

***

الفصل الثامن

ليس العجب على الحياة التي ترينا من الاعيبها ما يشيب الرأس، فهذه الحياة وقد اعتدناها، لكن العجب كل العجب على من تفوق على الحياة في تلك الالاعيب..

و "أم محمد" كانت من هذا النوع الذي أعطى للحياة درسًا في الألاعيب، تقف منحنية الظهر خائرة القوى، مبيضة الوجه أمام هند والتي صُدمت مما تفوهت تلك المرأة به.

هي لم تستوعب بعد ما سمعته في ذلك الكوخ، والآن تلك المرأة تقف لتكرر على مسامعها الأمر وبصورة أوضح.

- يعني أنتِ عشان ترجعي ابنك، تضحي بابن اختك؟! أنتِ بتفكري ازاي؟!

بكت السيدة بحرقة وقهر شديد:

- ده ابني.

- والتاني ابن اختك، ذنبه ايه يروح ضحية لابنك؟؟

صمتت السيدة باكية، لا تصدق أنها سلّمت رأسها للشيطان ليتلاعب بها، هي فقط لم تشعر بنفسها حينما أخبرتها تلك القذرة أنها على استعداد لإعادة طفلها مقابل طفلٍ آخر من نفس العمر، لكن الآن ماذا؟؟

- ويا ترى بقي اللي أخدوا ابنك قدروا حركة الجدعنة بتاعتك دي ورجعوا ابنك؟؟

نظرت لها السيدة " أم محمد " بقهر، هي حتى لا تعلم إجابة لهذا السؤال، لا تدري أستخدعها أم تصدق في قولها!!

- هي قالتلي... قالتلي أنها هترجعه ليا و. مش هيأذوهم هما بس...

صمتت ولا تدري أي حجة تبرر بها جريمتها في حق شقيقتها وابنها الصغير المسكين الذي سار معها هادئًا مستكينًا آمنًا فقط لأنها خالته.

اقتربت منها هند تنظر لعيونها محاولة استخلاص كل ما بداخلها:

- هي مين يا أم محمد؟! مين اللي اخذت ابنك وقالتلك تجيبي بداله عيل تاني عشان ترجعه؟؟

نظرت لها السيدة بريبة وقد شعرت أنها أفصحت أكثر مما يجب، لذلك تراجعت فورًا تحاول الهروب من الأمر برمته:

- معرفش.. أنا معرفش هي مين.

- ليه كده يا أم محمد وأنا اللي قولت هتساعديني عشان نرجع ابنك؟! بتدافعي عنها وتخبي عليها مقابل ايه وهي نصبت عليكِ وأخدت ابن اختك فوق البيعة.

امتلئت أعين السيدة دموعًا وقد شعرت بقلبها يكاد ينشطر حزنًا على ما فعلت، وهند كعازفة محترفة لعبت على اوتارها، تهمس بهدوء شديد مستغلة حالة الضعف التي بها:

- صدقيني لو ساعدتيني وقولتيلي هي مين ومين اللي بيساعدها أنا هرجعلك ابنك، مش هو اسمه مجدي برضو؟؟

انفجرت أم محمد في البكاء حين سماعها لاسم طفلها، تحاول أن

تتماسك متحدثة من بين شهقاتها بصعوبة شديدة:

- أنا معرفش غير هي.. اللي كلمتني معرفش مين اللي معاها ولا اعرف حاجة عنهم، وأنا لو اعرف كنت سيبتهم، ده أنا كنت اكلتهم بسناني.

هزت هند رأسها موافقة حديثها تواسيها بصمت:

- هي مين يا أم محمد؟؟

نظرت لها السيدة من بين دموعها وقد ملء الغل أحرف كلماتها، تنطق الاسم وهي تضغط على أسنانها بقوة حتى كادت تتحطم

تحت وطأة الغضب:

- فاطمة مرات شيخ البلد...

***

عاد ركضًا صوب المنزل يأمل أن يكون الجميع قد انتهوا مما وُكّل لهم، وفي رأسه تدور العديد من الخيوط، ليس جابر المذنب، بل أكبر أولاده.. عبد الرحيم.

توقف أسامة داخل المنزل والذي كان فارغًا إلا منه، مسح وجهه يتحرك في الإرجاء ذهابًا وايابًا متحدثًا لنفسه.

الأن أول المجرمين في القائمة، عبد الرحيم، وهذا قد يعبر عن وجود تلك اللوحة الغريبة داخل منزل جابر، ربما هو من أحضرها، لكن ما علاقة تلك اللوحة بالجريمة يا ترى؟!

قاطع حديثه صوت جلال المهلل وكأنه نال ترقيته المرجوة، يعبر

باب المنزل صارخًا بسعادة كبيرة وقد استطاع أخيرًا الوصول لأحد المجرمين بنفسه ووحده:

- لقيته يا عو، لقيت المجرم اللي ورا كل ده، مش هتصدق هو مين، أو خلينا نقول هي مين، دي طلعت...

- فاطمة مرات شيخ البلد.

كانت تلك كلمات هند التي اقتحمت المنزل قائلة بلهفة كبيرة وصدمة أكبر من معرفتها لهوية الشخص المتورط في مثل تلك الجرائم.

بينما جلال كان يقف متسع الأعين مفغر الفاه مستنكرًا لما حدث منذ قليل، هو كان على وشك نطق الاسم، لتأتي هي وتسبقه بهواني؟؟

هتف معترضًا على ما حدث ملوحًا بيده في الهواء صارخًا:

- حرام والله، ده ظلم، أنا اللي دخلت الأول وأنا اللي اتكلمت الاول.

- معلش يا جلال خيرها في غيرها، أبقي خليك أسرع من كده اكتر.

- طب على فكرة أنتِ قصداها، شوفتي أنى خلاص اكتشفت الغموض فحبيتي تسرقي الاضواء قال يعني أنتِ أذكى واحدة فينا هنا.

نظرت له هند بتشفي لتشتعل أعين جلال أكثر، لولا أن قاطعهم

أسامة يصفق لهما مراضيًا:

- برافو عليكم يا حبايبي، أنتم الاتنين شطار، ايه الحلاوة دي، والله هتحسد عليكم.

صمت ثم قال بجدية:

- كده معانا في اللعبة فاطمة، وعبد الرحيم.

نظر له الاثنان بعدم فهم ليوضح أسامة حديثه ويقول:

- الشخص التاني اللي في اللعبة دي هو عبد الرحيم، ابن جابر الكبير.

عقبت هند بتسائل:

- يعني مش جابر نفسه؟؟

- حتى الآن لا، كريم أعترف أن هو شاف اخوه وهو بيخطف طفل، ومن وقتها وأخوه دايمًا بيهدده أنه لو نطق هيخلص عليه وياخده زي ما بياخد كل العيال.

صمت ونظر حوله ثواني قبل أن يقول بجدية كبيرة:

- فين عفاف؟! حد شافها؟!

نفى الاثنان رؤيتهما لعفاف منذ بداية الليلة، ليشعر أسامة بالريبة والقلق، يحاول ألا يتسرع في خوفه، لربما ما تزال تحاول الانتهاء مما وكّل لها.

- يمكن لسه بتراقب بيت جابر وموصلتش لحاجة.

وكانت تلك الجملة صادرة من هند وكأنها تترجم أفكار أسامة، وتبث طمأنينة وهمية داخل صدره، لكن ما يزال القلق قائمًا.

كانت تُسحب كالشاه للمذبح تقاوم وتقاوم، لكن الفرق بينها وبين ذلك الثور صاحب الجسد الضخم كان كبيرًا لتستطيع الفرار، نظرت له بشر وودت لو وقف أمامها حتى تخرج ما يعتمرها من غضب به..

وابتسم عبد الرحيم بسمة خبيثة يدفع بها داخل ذلك المنزل الغريب يردد بصوت هامس:

- والله أنتِ بنت حلال، هتحضري معانا الحفلة بتاعة بكرة، أي نعم هي للصغار فقط، لكن ممكن نعملك استثناء عشان تبقي تبطلي تحشري مناخيرك في حياة غيرك.

رمقته عفاف بشر وما كادت تتحدث، حتى سمعت صوتًا رجوليًا يخرج من إحدى غرف المنزل الضخم يهتف بتعجب:

- مين دي وجايبها هنا ليه؟!

أجاب عبد الرحيم ولم يتوقف عن جرها خلفه:

- دي واحدة بتحاول تنخرب ورانا.

- طب ارميها في الاوضة جوا مع العيال لغاية ما نشوف هنعمل فيها ايه، ويلا عشان الكبير عايزنا.

دفعها وعفاف متوقفة في مكانها ترفض التحرك محاولة تبين ملامح ذلك الرجل، هي تعلم ذلك الصوت، سمعته من قبل، لكن أين ومن؟؟

وقبل أن تجد إجابة دفعها بقوة للأمام حتى كادت تسقط على وجهها، وعلى حين غفلة منه استدارت عفاف لاكمه إياه بقوة وقد بدأ غضبها يزداد، لكن الشاب وبسبب بنيته القوية مقارنة بها، تدارك نفسه وعاد يقيدها مطلقًا العديد من السباب وهي تقاوم مجددًا.

فتح الباب الخاص بالمخزن ودفع بها في قوة كبيرة باصقًا عليها، ومن ثم أغلق الباب في عنف شديد، تاركًا عفاف تصرخ وتسب وتلعن بهم جميعًا.

تنفست بصوت مرتفع حتى كادت روحها تخرج مع الأنفاس، وثواني فقط حتى استوعبت أين هي..

غرفة صغيرة مظلمة، مليئة بالعديد من الأطفال الصغار الذين ينظرون لها بريبة، مختبئين في أركان الغرفة بخوف شديد لتتسع أعين عفاف قائلة بصدمة:

- آه يا ولاد الـ

***

مر الليل والجميع في أماكنهم لم يتحركوا، الكل ينتظر إشارة تدل على وجود عفاف حتى أصابهم اليأس، زفر أسامة وقد ملّ ما يحدث ونهض ليتحدث:

- أظن كده كتير، عفاف لغاية دلوقتي مختفية ومحدش سمع عنها حاجة، حتى إشارة التتبع مش لاقطة، ولا عارف اوصل لحاجة تخصها..

ولم يكد أحدهم يجيب بكلمة حتى استمعوا لصوت فتح الباب،

انتفضت الأجساد بلهفة راكضين صوب الباب ظنًا أن عفاف قد عادت، لكن ما أبصروا غير فاطمة وتسنيم.

ابتسمت فاطمة بلطف وتعجب:

- ايه ده أنتم لسه مطلعتوش للتطعيم؟!

نظر الثلاثة لبعضهم البعض بريبة وقد تولت هند الإجابة:

- لا أصل إحنا كنا بنعمل بس جرد للمواد اللى معانا وبنشوف باقى كام بيت لأننا خلاص بنشطب وهنمشي.

ابتسمت له فاطمة، ثم أشارت لتسنيم ببدء العمل قائلة:

- أنا بس جيت مع تسنيم عشان ننضف البيت، لأن زي ما أنتم شايفين الدنيا متبهدلة، فلا مؤاخذة بس ممكن تقضوا الأيام الباقية في الدوار عند الشيخ، أنا قولتله وهو وافق.

صمتت ثم قالت مبرر تحاول به إقناعهم، ودفع أي ريبة بعيدًا عن طريقها:

- أصل احنا هناخد اليوم كله في التنضيف ومش حابين يعني نزعجكم في الشغل.

سارع أسامة بالابتسام قائلًا:

- لا لا ازاي، البيت بيتك طبعًا، إحنا اللي بنعتذر لو كنا يعني ازعجناكم ولا حاجة.

هزت فاطمة رأسها بالنفي وقد شرعت تتلو عليهم بعض الكلمات أثناء تحركها في المنزل، كلمات مجاملة عن أنهم لا يزعجونها أو

غيره، كلمات لم يهتم بها شخصٌ منهم، وقد كانت جميع أفكارهم تتجه للسبب الذي جعلها تطلب منهم ترك المنزل اليوم تحديدًا.

نظر أسامة للجميع وفكر داخل عقله:

- كده اللي كنت شاكك فيه اتأكد.

***

تجلس في أحد أركان الغرفة والتف حولها جميع الصبية بعدما أمنوا جانبها، ينكمشون بها في خوف شديد وكلماتهم الليلة الماضية ما يزال صداها يرنّ داخل جدران عقلها.

"أنا سمعت واحد بيقول أنهم هيقدموا التضحية في نص الشهر، مش عارف يعني ايه، بس هما كل شوية يجيبوا واحد ويرموه"

"أنا عايز اروح لامي، أنا خايف هما قالوا هيخلصوا علينا كلنا"

نظرت عفاف حولها تحاول البحث عن أي مخرج حتى أبصرت نافذة صغيرة مرتفعة بعض الشيء حدقت بها طويلًا، لتسمع صوتًا جوارها يهمس:

- مش هتعرفي تطلعي منها عشان أنتِ كبيرة.

نظرت عفاف جوارها لترى أن هناك صبي بملامح ملوثة يجلس في أحد الأركان شاردًا في النافذة:

- هي عالية اوي ومعرفتش اطولها ووقعت عورت رجلي، بس أنتِ مش هتعرفي تخرجي عشان جسمك كبير.

رفعت عفاف حاجبها تشير له بالاقتراب، ففعل بهدوء شديد ودون

أي ذرة شك أو قلق منها:

- أنت اسمك ايه؟؟

نظر لها الصبي وقال:

- مجدي.

فكرت ثواني ثم تساءلت:

- أخو محمد؟

اتسعت عين الصغير بلهفة شديدة وزاد من قربه لها، وقد انتعش أمل داخل صدره:

- أيوة صح، أنتِ تعرفي محمد؟؟ هو اللي بعتك؟؟

هزت رأسها بهدوء وقالت:

- أيوة أنا جاية هنا عشان أطلعكم.

ابتسم الصبي بسعادة قبل أن تنكمش ملامحه مرة أخرى يشك في صدق حديثها:

- طب ازاي وأنتِ محبوسة هنا زينا؟؟

- لا هو أنا عندي صحابي هيجوا يخرجونا و.

توقفت فجأة حينما تناهى لمسامعها صوت جعلها تضيق ما بين عينيها وهي ترهف السمع أكثر:

- هو أنت سامع صوت؟!

أشار الصغير لجدار مقابل لهم:

- أيوة تلاقي الحرامية قاعدين في الأوضة اللي جنبنا، على طول بيتكلموا بصوت عالي ويتخانقوا على فلوس هنا.

نظرت عفاف حيث يشير، ثم زحفت بسرعة كبيرة صوب ذلك الجدار، تلصق أذنها به تحاول أن تلتقط أي كلمة، وفجأة وجدت مجدي يقترب وينزع صخرة صغيرة من الجدار ليصل لها الصوت واضحًا.

ابتسم الصغير يشير للصخرة بفخر:

- أنا اللي حطيت الطوبة دي عشان صوت الزعيق بتاعهم.

اتسعت بسمة عفاف وقد اعتلى الخبث ملامحها، تميل بجسدها أكثر وأكثر حتى تصل للفتحة التي تقبع في نهاية الجدار وتنظر منها بعين واحدة تستمتع للعديد من الأصوات، أصوات رجولية، والغريب أن أغلبية الأصوات مألوفة.

توقفت عن التفكير واستمعت بكامل اهتمامها لما يحدث.

وفي الغرفة المجاورة كان الحوار مشتعل بين الجميع، إذ تحدث رجلٌ منهم باعتراض:

- مكانش له لزوم تجيبها يا عبد الرحيم هنا، كنت ارميها في أي بلوة وخلاص.

اعترض عبد الرحيم على كلام الرجل:

- بقولك كانت ماشية ورايا وبتراقبني، يعني لو كنت عملت زي ما

بتقول كنا زمانا كلنا روحنا في داهية، مش هنيجي قبل اليوم اللي عايزينه ونعمل مشاكل.

وقبل أن يجيبه مُحدثه، قاطع كبيرهم بإشارة من يده قائلًا:

- خلاص خلصنا، البنت دي تفضل لغاية بليل هنروح بيت فاطمة نخلص الموضوع وبعدين نتصرف معاها في الآخر، دلوقتي ركزوا معايا عشان اللي جاي اهم حاجة.

استمعت عفاف لما يُقال بأُعين متسعة وقد توضحت جميع الخيوط أمام عيونها، هم مجرد جماعة من القذرين اغرتهم الثروات ليركضوا خلف اوهام الكنوز المفقودة، وفي المقابل سيقومون بالتضحية بعدد من الأطفال، اعتقادًا منهم أن الجن الحارس للمقبرة بهذه الطريقة سيدعهم يأخذون ما يشاءون.

ومن المفترض أن بوابة تلك المقبرة العظيمة - كما يصفونها - تقبع أسفل منزل فاطمة؟

وهذا يبرر وجود العديد من الحفر التي تدل على محاولات فاشلة لإيجاد تلك البوابة، لكن كيف؟؟ كيف يقولون إن الأمر سيتم اليوم والتضحية أيضًا اليوم وجلال أكد لهم أن جميع الحفر في المنزل قد رُدمت، بالطبع هم لن ينتهوا من حفر أعماق سحيقة كتلك في ساعات قليلة، وكيف سيتم ذلك أثناء وجود اصدقائها حتى؟؟

ابتعدت عفاف عن الجدار شاردة وداخل عقلها المئات والمئات من الأفكار التي لم تصل بها لبر آمن، كانت تدور في دائرة مفرغة لا بداية لها ولا نهاية أيضًا.

شعرت باليأس غير قادرة على أخذ خطوة للانتهاء من ذلك كله، وفجأة أبصرت نفس النافذة التي تعلو الجدار، لتلتمع عيونها بتفكير وتقول لمجدي:

- بقولك ايه يا مجدي بتعرف تنط من أماكن عالية؟؟

***

ساعات طويلة قضوها أمام المنزل في انتظار خروج فاطمة للالحاق بها، لربما ترشدهم لطرف الخيط، لكن لم يحدث أن خرجت من المنزل، فقط تسنيم هي من أبصروا خروجها منذ ساعة.

زفر جلال بملل شديد يقول:

- هي هتبات جوا ولا ايه؟! أنا زهقت.

نظر أسامة لساعة يده وقد شعر أن الوقت لا يمر، نظر لجلال وهند وقال:

- اكيد مش هتخرج لأن البيت ده اساسا هو سبب كل اللي بيحصل.

نظر له الاثنان بعدم فهم ليوضح أكثر:

- يعني كل اللي حصل ده وموضوع الآثار ملفتش نظركم لحاجة؟؟ مسمعتوش قبل كده عن إنسان بيضحي بغيره عشان يفتح مقبرة؟؟

- قصدك أن العيال اللي اختفت دي هما الضحية للموضوع، بس دول كتير اوي، كل دول عشان يفتحوا مقبرة

هز أسامة رأسه يزيد على حديثة السابق:

- أنت ناسي كلامك أن المقبرة دي كبيرة اوي بحجم نص القرية، يمكن عشان كده محتاجين ضحايا اكتر عشان يفتحوا البوابة، والبيت ده هو البوابة للمقبرة، وإلا ليه كل الحفر اللي في البيت دي؟؟

- أيوة بس أنا متأكد أن مفيش ولا حفرة واحدة فيهم تنفع اساسا تكون بوابة، متقفل خالص من تحت.

صمت أسامة هو لم يصل بعد لتلك النقطة، لكنه متأكد أن هذا المنزل يعني لهم الكثير، وإلا ما الذي جعل والد فاطمة يبحث أسفله سابقًا إن لم يكن مـ ...

فجأة توقف عن التفكير وقال:

- جلال، حفرة بعمق يسمح أنك توصل لمقبرة، يعني قول مثلا من 4 لـ 7 متر كده ممكن ياخد وقت قد ايه عشان تتعمل؟؟

نظر له جلال بتعجب، ثم أجابه بهدوء:

- على حسب يا عو يعني 7 متر طول في كام متر عرض؟! وعدد الانفار قد ايه، وكمان الآلات المستخدمة؟؟

نظر له أسامة بأعين غامضة لا تدري ما يقبع خلفها يحاول تحليل كلمات جلال والذي يدرك جيدًا أنهم أكثر فهمًا لتلك الأمور:

- يعني قول مثلا ٧ طول و٢ عرض وعدد انفار ميزيدش عن خمس أفراد، والآلات بدائية عادي.

صمت جلال يحاول حساب ما يقوله أسامة، هو ليس خبيرًا في

الأمر، لكنه وبسبب نشأته في بيئة مليئة بأصحاب المهن الحرة واختلاطه بهم أثناء جلوسه في المقهى علم الكثير والكثير:

- يعني ايام ممكن من تلات لأربع ايام يعني، بس ليه؟؟

ابتسم أسامة بسمة جانبية ونظر لهم يقول بجدية:

- حد منكم لاحظ أن كل يوم الصبح، فيه مجموعة من خمس رجالة تقريبًا بيدخلوا الشارع اللي جنب البيت الصبح وأحنا خارجين؟؟ كل يوم في نفس الميعاد بتاع خروجنا الصبح.

نظر له الاثنان بجهل وهزوا رؤوسهم بنفي، فلم يسبق لهم أن أبصروا الأمر، وأسامة الذي لا يفوت شاردة أو واردة حوله كان يلاحظ وجودهم وتحركهم بالعديد من الأدوات للشارع الجانبي المجاور لمنزل فاطمة، لكنه شك بكونهم بعض الفلاحين أو ما شابه، والآن تأكد شكه أنهم ليسوا بفلاحين أبدًا.

فجأة انتفض على صوت هند التي أشارت لباب المنزل قائلة بخفوت:

- بصوا فاطمة خرجت من البيت.

نظر الجميع صوب فاطمة التي بمجرد خروجها حتى تحركت في طريق آخر غير طريق منزل شيخ القرية، لتضرب أجراس الانذار داخل عقولهم، وتُرفع حالة طوارئ في الأرجاء.

ولم يكن أسامة ومن معه فقط من انتبهوا لفاطمة ولحقوا بها، بل إن تسنيم كذلك لحقت بهم متعجبة ما يحدث...

***

- ده عالي اوي، مش هقدر أنط.

زفرت عفاف التي كانت تقف في منتصف الغرفة رفقة باقي الاطفال يرمقون جسد مجدي المعلق في النافذة منذ دقائق طويلة خائفًا من

التحرك خطوة.

- هو مش أنت قولتلي أنك بتعرف تنط يا مجدي؟؟

- أيوة انط من فوق شجرة أو من فوق مصطبة بس الشباك ده عالي اوي، لو نطيت هتتكسر رقبتي.

تحركت عفاف صوبه تقف أسفل النافذة على أطراف أصابعها تمد كتفها له، كي يصعد عليه لتنزله:

- طب انزل، انزل أنت شكلك مفيش منك فايدة اساسا.

تحرك صوبها مجدي وبحذر شديد حاول النزول على كتفها، لكن وبسبب فتح الباب فجأة انتفض الصغير فزعًا وتوتر لتنزلق قدمه ويسقط ارضًا بقوة شديدة مطلقًا صرخات عالية رنت في المكان بأكمله.

وعفاف التي توقف قلبها لحظات لرؤية من دخل الغرفة، ركضت صوبه برعب شديد لتراه يصرخ ويبكي وينادي والدته.

- معلش حقك عليا أنا ملحقتش امسكك والله، و.

وقبل أن تكمل جملتها وجدت من ينتزعها بقوة بعيدًا عنه صارخًا:

- بقي أنتِ يا زبالة جاية تهربيهم، يعني إحنا يطلع عينا وأنتِ عايزة تهربيهم كده بكل سهولة؟؟

رفعت عفاف عيونها لذلك الرجل تحاول تذكر أين رأته قبل ذلك، لكن هو لم يعطها فرصة لذلك، إذ سحبها خارج الغرفة من حجابها بعنف وهي تحاول الإفلات منه صارخة:

- اوعى سيبني.. اوعى.

لكن الرجل لم يتوقف حتى عبر بها أحد الأبواب الكبيرة التي تؤدي لغرفة تبدو كما لو أنها غرفة استقبال ضيوف والقاها ارضًا أمام العديد من الأشخاص، رفعت عفاف رأسها بحدة لتبصر رجلًا كبيرًا في العمر وعبد الرحيم ومعهم خمس رجال آخرين لا تعلم عنهم شيئًا.

تحدث الرجل خلفها بغضب شديد صارخًا في وجه عبد الرحيم معنفًا:

- شوفت، قولتلك كنت رميتها فى أى داهية، اهى كانت هتهرب العيال لولا أني دخلت ولحقتها قبل ما تعمل حاجة.

ابتلعت عفاف ريقها، تنظر للوجوه حولها، كانوا يرمقونها بنظرات غريبة كما لو أنها عظمة سقطت وسط قطيع من الكلاب الجائعين، تراجعت للخلف وضربات قلبها تعلو برعب حتى كاد يتوقف.

تحدث عبد الرحيم:

- أنا قولت البنت دي اكيد شرطة وجاية تنخرب ورا الموضوع كله.

سارعت عفاف تتحدث بتردد وصوت منخفض مرتعبة أن يتخلصوا منها:

- أنا انا معملتش حاجة، انا بس كنت... أنا

صمتت، ثم نظرت للرجل الكبير وتحدثت بأول شيء طرأ على عقلها الاحمق في تلك اللحظة:

- أنا صحفية وكنت جاية بس أعرف زمايلنا اللي جم عشان ينقلوا الأخبار اختفوا فين، احنا المفروض بعتنا بعثة من الصحافيين هنا من فترة وفجأة مسمعناش عنهم خبر، فكنت جاية عشان أعرف اللي حصل و. هو فجأة لقيته هجم عليا وجابني هنا.

ختمت حديثها مشيرة صوب عبد الرحيم الذي ابتسم بسخرية لاذعة على مبررها الاحمق، وقد تعالت ضحكات أكبرهم مشيرًا للخمس رجال الآخرين:

- قصدك الصحافيين دول؟؟

نظرت عفاف صوبهم بصدمة ثواني، ثم عادت بنظرها للكبير لا تعلم عما يتحدث:

- يعني مش واخدة بالي، بس هما بلغوني أنهم يعني طوال، ممكن يكونوا هما.

ازدادت ضحكات الرجل، ثم مال قليلًا يهمس بصوت منخفض:

- أصل مفيش صحافيين من أساسه ودول عمال حفر، بس اكيد مش هندخلهم البلد والكل مفتح عيونه على أساس أنهم عمال حفر،

فقولنا نعمل لعبة صغيرة كده، إيه رأيك؟!

- جميلة والله تسلم ايديكم.

وفجأة توقفت عن الحديث حينما شعرت بالرجل يجذب حجابها بقوة متسببًا في ارتفاع وجهها حتى كادت رأسها تخرج بين كفه وهو يهمس:

- مش أنتِ اللي جاية مع بتوع التطعيمات ورايحين جايين على بيوت البلد تسألوا عن اللي بيحصل يا بت؟؟

- ايه ده أنت متابع بقي، طب ليه اللف والدوران من الاول؟؟

شدد الرجل من قبضة يده مبتسمًا بسخرية:

- بشوف اخركم، بس أنتم طلعتوا شوية اغبيا مش مبطلين نخربه ورانا.

ابتسمت له عفاف ببرود شديد، رغم أن داخلها كانت ترتجف

وتصرخ وتشعر بقرب رحيلها:

- أنا مش هزعل منك، عارف ليه؟؟ عشان أنت مكدبتش يا حاج.

ترك الرجل رأسها، ثم استقام واقفًا يشير لها:

- خدوها على الـ ...

وقبل أن يتمم كلماته سمعت عفاف صوتًا تألفه وبشدة مخترقًا الأجواء:

- ايه اللي بيحصل هنا، وايه اللي جاب البنت دي؟!

استدارت عفاف بقوة صوب ذلك الصوت وقد اتسعت عيناها بقوة وصدمة اخترقت صدرها:

- فاطمة؟؟ أنتِ؟؟

اقتربت منها فاطمة وتجاهلتها:

- مين اللي جابها هنا دي؟؟

أجابها عبد الرحيم بما حدث وعفاف تتابع فاطمة بأعين متسعة هامسة بخذلان وخيبة أمل كبيرة:

- أنتِ يا فاطمة؟؟ هو أنا كل ما أرتاح لحد يطلع زبالة؟؟

نظرت لها فاطمة وابتسمت:

- كنت شاكة فيكِ أنتِ واللي معاكِ من أول يوم.

ضربت عفاف كف بالآخر وقد بدأت تشعر أن عقلها يدور داخل رأسها:

- ولما كلكم كنتم شاكين فينا، محدش جه وواجهنا ليه؟! ليه وجع القلب واللف على بيوت البلد ده كله؟؟ كنتم اعملوا أي حركة تبين أنكم عارفين، اخطفوا جلال مثلًا.

تجاهلها الجميع وتحدثت فاطمة:

- أنا فضيت البيت، وطلعت صحابها منه بحجة التنضيف، لكن بما أن شوية الأغبيا دول طلع وراهم حاجة فأنا أشك أنهم يسيبونا في حالنا، عشان كده بقترح نخطفهم كلهم ونحبسهم لغاية ما العملية تخلص.

كادت عفاف تجيبها ساخرة من كل، لكن فجأة أبصرت الثلاثة اغبياء الذين ترافقهم يقفون على باب الغرفة بعدما لحقوا بفاطمة، لتبتسم قائلة:

- والله ما أنتم متعبين نفسكم، اهم جم بنفسهم عشان يشاركونا الجمع السعيد ده.

استدار الجميع فجأة صوب الباب متفاجئين من مجيئهم خلف فاطمة، بينما فاطمة نفسها كانت تدرك جيدًا أنهم يسيرون خلفها، وتركت لهم الباب مفتوح فقط ليدخلوا المصيدة بأقدامهم.

هنا وقالت:

- نورتوا، كنت مستنياكم من وقت ما اتحركتم ورايا.

نظر أسامة صوب فريقه بحنق:

- نفسي مرة نعمل أم مهمة وفي الآخر منتذلش أننا كنا مكشوفين.

ما كاد أحدهم يضيف كلمة على حديثه، حتى انطلقت صيحة من فم هند التي صرخت بصوت مرتفع وبنبرة منتصرة:

- أنا قولت والله إنك واحد زبالة، أنا ليا نظرة في الرجال المعفنين امثالك، يا ذكوري يا حقير.

التفتت جميع الرؤوس صوب الشخص الذي توجه له الحديث ليتعرف عليه جلال سريعًا ويقول:

- مش ده أشرف الراجل اللي كان بيزعق لما روحنا بيته.

صححت له هند بغضب شديد:

- متقولش راجل يا جلال، ده ذكر عفن ملوش غير فرد العضلات على الستات، اهو جالكم كلامي؟؟ جالك كلامي يا عو؟! قولتلك ده واحد زبالة، اهو طلع مع العصابة اللي خطفت وقتلت ابنه.

نظرت له عفاف، والآن فقط تذكرت أين رأته، هو نفسه الذي تشاجرت معه هند ذلك اليوم، بصقت عفاف ارضًا باشمئزاز:

- أما أنت ذكوري متعفن بصحيح، ابنك يا زبالة؟؟ ابنك؟؟

رمقهم أشرف بلا اهتمام ساخرًا منهم، ليتدخل أكبرهم في هذا الحوار الممتع:

- آسف لو بقاطع كلامكم يا حبايبي، لكن إحنا ورانا شغل.

تحدث جلال وقد أنتبه فجأة لذلك الرجل الاخر يتذكر أين رآه سابقًا:

- الاه؟؟ مش ده عم سعد بتاع الجامع؟؟

ابتسم له سعد ليقول:

- أيوة يا ابني أنا عمك سعد إمام المسجد.

امتصت عفاف شفتيها بتأثر محركة رأسها للجانبين:

- يا راجل يا طيب يا تَقي، والله الشر ده بياخد ناس طيبين كتير.

ملّت فاطمة كل ذلك تشير لهم أن يتخلصوا من هؤلاء كي تتاح لهم الفرصة واخيرًا لتحقيق المراد:

- مش هنقعد طول اليوم نتكلم، يلا بسرعة خدوا العيال دي ارموها في المخزن، وهاتوا الاطفال عشان نلحق.

رمقهم جلال بصدمة ونظر لأسامة قائلًا بهلع:

- ايه يا عو؟؟ هو كل مرة هنتحبس ونتعامل معاملة العجول وقفة العيد ولا ايه؟! هو أنت مش بتعرف تجيب مهمة عدلة؟

تجاهله أسامة ينظر للجميع حوله بفضول، أراد أن يبدده لكن اقتراب بعض الرجال منهم جعله يلغي الفكرة من رأسه ويخرج سلاحه فورًا ملوحًا به في الهواء:

- مكانكم، أي واحد هيتحرك من مكانه هفرغ الخزنة في دماغه.

وبمجرد أن ارتفع سلاحه ابتسمت عفاف بسمة قوية وكأنها تخبرهم (ردوها إن استطعتم).

وهم قبلوا تحدي عفاف الصامت، فمقابل سلاح أسامة ارتفعت العديد والعديد من الأسلحة المخيفة ليعود جلال للخلف يختفي خلف هند التى رمقته بشر تبعد عنها:

- هو أنت ياض متعرفش غيري؟! أي ورطة تستخبى ورايا؟؟

- ما أنتِ عارفة إن عفاف هتستخبى ورا أسامة دلوقتي وأنا مش بلاقي مكان وراه.

حدجته هند بشر ليبتسم لها بسمة غبية وهي نظرت أمامها للجميع، ومن ثم نظرت لأسامة الذي قال بسخرية لاذعة:

- لو مفكرين إن الأسلحة اللي معاكم لوحدها كفاية فأنتم غلطانين،

لأن الأهم من السلاح أنك تعرف تستخدمه، وأنا فريقي مدرب على النشان، ولا ايه يا شباب؟؟

نظر الثلاثة لبعضهم البعض ولم يتحدث أحدهم، بينما أسامة ينتظر إجابة منهم وبسمته ما تزال مرتسمة، لكن لم يصل له ردّ يريحه فاستدار بريبة ليرى الجميع ينظرون حولهم بريبة محاولين تلاشي اصطدام نظراتهم مع أسامة الذي أشار لهم بإخراج أسلحتهم، لكن بسمة الثلاثة الغبية أخبرته أنه قد أخطأ حينما تحدث بهذه الثقة عنهم.

قالت عفاف محاولة خفض صوتها:

- أنا مكنتش عاملة حسابي اتخطف، أنا قولت هراقب بيت جابر وارجع على طول يا عو، معملتش حسابي في خطف.

- ولا يهمك يا عفاف أبقي اعملي حسابك بعد كده يا غالية، ده لو فيه بعد كده.

اعتدل في وقفته ينظر للجميع مجددًا ولم ينس أن يرمي فريقه بنظرة متوعدة قبل أن يقول:

- إحنا ممكن نتفاوض ونوصل لحل وسط يعني، يعني مثلا مش رجولة أن واحد بسلاح قصاد تمانية.

ابتسم له سعد يشير للرجال حوله بالاقتراب، وأسامة يحاول أن يعود للخلف ومعه فريقه، لكن فجأة اصطدموا في رجل ضخم الجسد لتتسع أعينهم ويدركوا أن الأمر انتهى ...

ابتسم أسامة بسمة غبية يفرك وجهه قليلًا، ثم همس:

- إحنا لو طلعنا عايشين من هنا أنا هوريكم الويل، حسبي الله فيكم واحد واحد، رايحين رحلة مش جايبين اسلحتكم معاكم.

صمت يتنفس بصوت عالي يدّعي استسلامًا، ثم نظر لهم نظرة غامضة يلقي السلاح الخاص به ارضًا يرفع يده في الهواء وسار معه فريقه أمام بعض الرجال، قبل أن يقول أسامة فجأة:

- يلا يا هند.

وبمجرد انتهاء كلمته كان جسد هند يقفز بسرعة كبيرة تهجم على الرجل الذي يقودهم مسقطة إياه ارضًا بقوة، وتبعتها عفاف التي قصدت قدم الآخر ضاربة إياه بقوة شديدة ليلحق زميله ساقطًا ارضًا..

وسريعًا حدثت حالة من الفوضى في المكان، إذ انتفض الجميع يهجمون على الأربعة، وهم يقاومون بقوة وسرعة كبيرة يحاولون انتزاع الأسلحة منهم قبل أن يتطور الأمر لاستخدامها عليهم.

وأثناء ذلك الشجار المخيف كان جلال يركض فى ممرات المنزل بسرعة كبيرة يحاول أن يجد المكان المُخبئ به الاطفال مستغلًا كل تلك الفوضى.

ينحرف في ممرات لا يدري أين تؤدي به، لكن فجأة توقف في منتصف أحد الممرات حينما أبصر رجلٍ ينظر له بريبة يقف أمام أحد الأبواب وبمجرد أن لمحه حتى تحركت يده للسلاح الخاص به، ليسارع جلال بالقول مشيرًا للخارج حيث الشجار:

- عم سعد إمام الجامع قالي اجي انا‌ديك عشان فيه خناقة جامدة

برة وهما محتاجين دعم.

نظر له الرجل بشك وتحرك صوبه، ليعود جلال للخلف ببطء وقد شعر أنه لا يمتلك مهربًا منه، لكن فجأة وجد مجموعة من أدوات الحفر تستقر على الجدار فركض ممسكًا أحدهم، وانقض على الرجل بقوة شديدة أردته ارضًا.

لحظة زهو سريعة مرت في أعين جلال يراقب صنيع يده، وفي لحظة جنون كاد يخرج هاتفه ليصور ما فعل ويريه للجميع لاحقًا، لكن اصوات البكاء الصادرة من الغرفة أخرجته من كل ذلك، يركض صوب الغرفة يحاول فتحها، ليعود صوب الرجل يفتش ثيابه حتى عثر على العديد من المفاتيح فركض كي يحررهم واخيرًا.

وفي الخارج كانت الأمور قد اشتعلت بين الجميع وبدأ رجال سعد يطلقون رصاصات طائشة في الهواء فقط لإخافة أسامة ومن معه، وأسامة في تلك اللحظة كان يمسك بتلابيب ثياب عبد الرحيم يخرج به كل غضبه ونفوره وكرهه:

- أنت مش بني آدم؟؟ حد يعمل في عيال قد اخوه كده؟! وكمان اخوك؟!

وجواره كانت هند قد تولت أمر أشرف والذي لم يكن بنفس تمرسها، هو من الأساس لا يفهم شيء في القتال أو ما يشبهه، وهي أخيرًا جاءت فرصتها للانتقام منه، تنقض عليه باللكمات الغاضبة والسباب.

وعفاف تتشاجر مع فاطمة التي كانت شرسة بشكل غير متوقع،

لكن عفاف لم تكن بالضعيفة أبدًا خاصة أن جسد فاطمة كان أضعف منها، فأمسكت حجابها تجرها منه بقوة ضاربة إياها في الطاولة بعنف.

وسعد هرب مع رجال الحفر مستغلًا حالة الفوضى..

لكن ما كاد أحدهم يعبر باب المنزل حتى وجد خادمة فاطمة تعود للمنزل وخلفها جمع غفير من أهل القرية، فهي قد أبصرت مراقبة أسامة وفريقه لفاطمة وسارت خلفهم ودخلت المنزل وسمعت كل شيء نطقوه، لتركض عائدة إلى القرية تصرخ بين ضواحيها أنها وجدت خاطفي أبنائهم.

كانت تسنيم تركض صوب المنزل المهجور على أطراف القرية صارخة بجنون وقهر:

- اهو يا ناس شيخ الجامع اللي كان بيأم بيكم الصلاة هو اللي حرمكم من عيالكم هو والكلاب اللي معاه.

وفجأة لم يبصر سعد سوى سواد حين رأى وجوه غاضبة وصيحات مقهورة تقترب منه ومن معه ليدرك أنها وببساطة... النهاية.

***

الخاتمة

واسوء لحظاتك هي تلك التي تقف على قارعة الطريق تراقب خيبة املك، تبصر خذلانك بأم عينيك.

ونجاة لم تكتف بالمراقبة، بل مالت سريعًا برشاقة وصحة افتقدتها منذ أشهر عديدة، تحديدًا منذ رأت جثة ولدها أعلى الترعة، مالت تحمل خفها المنزلي، تركض صوب سيارة الشرطة التي تواصل معها أسامة بعد محاصرة الأهالي للمجرمين.

ركضت تجذب زوجها من بين أياديهم مسقطة إياه ارضًا، ومن ثم هبطت فوق رأسه بخفها تبكي وتنوح:

- عشان الفلوس يا حيوان تعمل كده في ابنك؟! تخطفه وتقتله يا زبالة؟؟ حسبي الله ونعم الوكيل فيك وفي امثالك.

أخذت تزيد من حدة ضرباتها، وأشرف الذي نال ما يكفيه من أهالي القرية وهند لم يكن قادرًا على رفع إصبع واحد يدافع به عن نفسه، ولم تتوقف نجاة عن ضربه، حتى تدخلت الشرطة وسحبته من أسفل يدها بصعوبة.

وفي أحد الجوانب كان جلال يودع تسنيم بالبسمات والنظرات، وهي فقط تنظر له بخجل وحزن شديد:

- توصل بالسلامة يا سي جلال، خد بالك من نفسك.

- تسلمي يا تسنيم.

صمتت ولم تدر ما يُقال في تلك اللحظة، حتى فاجئها جلال

بعرضه:

- بقولك يا تسنيم، تتجوزيني؟؟

شهقت تسنيم وهي تنظر حولها بفزع أن يستمع لهم أحد ما:

- عيب يا سي جلال بتقول ايه؟؟

- بقول ايه يعني يا تسنيم، أنا حابب اطلب إيدك على سنة الله ورسوله.

اتسعت بسمة تسنيم ونظرت له بأعين ملتمعة، قبل أن تقول بصوت خافت:

- بس ميصحش تتكلم معايا في الكلام ده، كلم شيخ القرية هو ولي امري.

وبمجرد انتهاء جملتها ركضت سريعًا بعيدًا عنه، وهو اتسعت بسمته ليضمرها في نفسه أمنية ورغبة، رغبة سيحققها، سيعود من أجلها.

تحرك جلال صوب الجميع لينضم إلى فريقه، مع وعد بالعودة والمطالبة بتسنيم.

في الوقت الذي كان أسامة ومن معه يقفون مع شيخ القرية الذي يراقب ما حدث في قريته، يفكر في أثره السلبي على حملته الانتخابية.

وجابر جواره كانت أعينه لا تهتم حتى بالنظر لتوديع بكره، بل ترفّع عن التفكير فيه بعد كل ما فعل في الأطفال المساكين وما كان

يفعل في ولده.

اقتربت صفية " الزوجة الثانية للشيخ " تقف جواره تراقب الشرطة تدفع بفاطمة صوب السيارة، والأخيرة تدفن وجهها غير قادرة على النظر لأحد.

ابتسمت صفية بتشفي:

- مع ألف سلامة يا حبيبتي هبقى ابعتلك سم هاري تطفحيه أنتِ واللي معاكِ.

حولت نظراتها من بعدها لرفعت وقالت:

- عشان تعرف بس أنها واحدة ناقصة يا شيخنا، يا ما قولتلك بس أنت مصدقتنيش، يلا اهو أنت طلقتها، بس بعد ايه بقي.

رمقها الشيخ بحنق شديد محذرًا:

- أنتِ لو مقفلتيش بؤقك ده هخليكِ تحصليها.

صمتت صفية مكرهة، وهي تراقب انتشار الفوضى في البلدة بأكملها، فقد هجمت الشرطة عليهم بعدما أمسكوا بالعصابة وقاموا بتكتيفها، وعاد كل طفل لأحضان عائلته..

أبصرت اقتراب أسامة وفريقه منهم، وبمجرد توقفهم ابتسم أسامة له قائلًا:

- بنعتذر لو عملنا مشاكل هنا يا شيخ، بس الموضوع كان لازم يقف.

هز الشيخ رأسه متنهدًا:

- كتر خيركم يا باشا رجعتوا العيال لأهاليها، وأهي فاطمة كانت نهايتها بسبب البيت زيها زي ابوها، غبية مبتتعلمش.

صمت أسامة ولم يحسن اختيار كلماته فيما يخص الأمر، نظر لفريقه بعيونه ليراهم قد تجهزوا للرحيل، فصافح العمدة وودعه، وودع الجميع وتحرك مع فريقه صوب الطريق الذي تركوا به سيارتهم في بداية المهمة، وخلفهم اصوات الشكر والتهليل من الجميع.

الجميع كان سعيدًا، حتى نجاة والتي كانت الخاسرة الوحيدة بينهم، واخيرًا شعرت أنها حرة مرتاحة البال، تخلصت من كابوسها، ونال طفلها القصاص العادل.

خرج أسامة وفريقه من القرية مع جابر الذي أصر على إيصالهم حتى السيارة، وقد نشأ بينهم جميعًا حوارًا لطيفًا:

- متزعلش مني يا جابر بس أنا كنت شاكك فيك اساسًا.

أطلق جابر ضحكات خرجت من عمق احزانه، فمن خسره للتو كان بكره وأول من حمل وسعد به، لكنه يعلم أنه أخطأ ويستحق كل ما حدث له:

- عادي يا باشا الكل بيحس لما يشوفني إني مجرم، يمكن ملامحي مبينة كده.

وصل الجميع عند السيارة والتي كانت تبدو في حالة سيئة، لكنهم لم يهتموا، استدار أسامة ليودع جابر ويشكره على لطفه معهم، وكذلك فعل جلال.

وتحركوا صوب السيارة، لكن فجأة توقف أسامة قبل أن يصعد لها وقد لمع أمر تناساه في خضم ما حدث، استدار لجابر يرمقه بأعين فضولية:

- صحيح يا جابر، ايه حكاية اللوحة الخضرا الغريبة اللي كانت في صالة بيتك دي؟؟ مظنش أنك من النوع اللي بتحب الفن يعني.

ابتسم له جابر بسمة صغيرة، ثم قال بهدوء وبنبرة غريبة:

- دي ورث في العيلة يا باشا، أي فرد من أفراد العيلة عنده واحدة زيها في بيته.

هز أسامة رأسه وهو يفكر في كلماته، في الوقت الذي تحرك جابر بعدما اوصلهم، وهم صعدوا للسيارة وتحركوا بها للمغادرة، لكن فجأة توقف أسامة بعنف، حينما استوعب عقله ما قصد جابر ونظر للجميع بصدمة في نفس الوقت الذي استوعب به الكل ما قاله جابر:

- يعني ايه ورث العيلة؟؟ يعني جابر يبقى أخو...

هبط بسرعة من السيارة ونظر للطريق يبحث عن جابر، لكن الأخير كان قد اختفى كليًا ليتعجب أسامة ويصعد للسيارة يبدأ طريقه وقد علت البلاهة نظراته.

***

بينما جابر كان قد سار في طريق آخر للعودة وقد شعر بثقل يجثم أعلى صدره، مشي لدقائق طويلة حتى وصل لمنزل فاطمة، منزل العائلة، المنزل الذي طُرد منه طفلًا وذنبه الوحيد أن والدته لم تكن

زوجة الباشا الشرعية.

تحرك ودخل المنزل يسير بين ممراته حتى توقف أمام الصورة التي تجمع أفراد العائلة عداه ووالدته، تركزت عيونه على فاطمة ليقول بصوت خافت:

- قولتلك يا فاطمة ابعدي عن البيت وحواراته اخرتها مش تمام، بس مسمعتيش كلامي، وأهو شايفة اللي حصل، ضيعتي نفسك وضيعتي ابني معاكِ، الله لا يسامحك يا فاطمة.

أنهى حديثه، ثم استدار ينظر حوله لذلك المنزل الذي أضحى يُمثل لعنة له ولكل فرد ولد به، تحرك خارج بوابته محضرًا سلسلة حديدية يغلقه بقوة خلفه، ومن ثم تحرك مبتعدًا وقد أخذ عهدًا ألا يطأه طالما هناك أنفاس بصدره، اكتفى من ذلك، هو نُبذ منه قديمًا، والآن هو من ينبذه...

***

بعد ساعات من قيادة السيارة وصلوا واخيرًا، وصلوا برؤوس مرفوعة، والفخر يحلق حولهم، مبتسمين مختالين في سيرهم، أو هكذا كان يجب أن يكون وصولهم، لكن الواقع دائمًا ما يعاندهم، إذ تعطلت بهم السيارة على بُعد صغير من المكان واضطر كلٌ من جلال وأسامة للهبوط ودفعها، حتى توقفت أمام مبنى المركز.

تنفس أسامة بصوت مرتفع، وقد بلغ الحنق أقصاه داخل نفسه:

- أنا نفسي في مرة الموضوع يكمل معانا للآخر تمام.

هبطت هند من السيارة تنزع النظارة السوداء عن عيونها التي

تماثلها باللون، قائلة ببسمة واسعة:

- وماله الموضوع ما هو كمل على خير اهو وزي الفل.

صاح جلال في وجهها مغتاظًا:

- ده عشان حضرتك قعدالي أنتِ والتانية جوا مرتاحين وأحنا اللي بنزق، بعدين مش المفروض أن الست زي الراجل في كل حاجة؟! مش ده كلامك برضو؟؟

ابتسمت هند بسمة واسعة تتحرك صوب درجات المركز:

- وأنت عمرك ما اعترفت بكلامي يا جلال، ودايمًا تقول الراجل اقوى من الست، وأنا لمرة في العمر بديك احساس القوة ده، بس متتعودش على كرمي كتير.

غمزت له وتحركت للداخل، وعفاف هبطت خلفها تتمطأ بكسل مبتسمة:

- كانت مهمة زي الفل يا رجالة، اشوفكم على خير في اللي جاية.

راقبهم أسامة يتحركون أمامهم متمختريين بكل دلال، ليلحق بهم متهكمًا ومعه جلال، كان يسير بحذر شديد، ينظر أسفل قدميه وأمامه وفوقه، فلا يدري ما يخفي له حظه تلك المرة من مفاجآت.

لكن وللعجب وصل أسامة لمكتبهم بسلام ودون حدوث شيء حتى أنه نظر بريبة لجلال وقال:

- ازاي وصلت كده؟؟ اكيد فيه حاجة غلط، ارجع الطريق تاني من الأول؟!

دخل جلال المكتب يقول بتعب كبير ملقيًا نفسه على الأريكة:

- ارجع ولا مترجعش، أنا مش هتحرك خطوة واحدة، أنا خلاص جبت اخري من المهمة دي.

وبمجرد أن كاد يغمض عيونه، حتى سمع رنين هاتفه الذي افتقده في الآونة الأخيرة لينتفض بسرعة كبيرة مبتسمًا وقد نسي تعبه ونسي كل شيء فجأة.

في تلك اللحظة كانت عفاف تجلس على مكتبها تفتح أدراجه حتى أخرجت من أحدهم، علبة حلوى كانت تحفظها به وأخذت تأكل منها بنهم شديد ليبتسم لها.

وبمجرد أن انتبهت له ابتسمت بخجل تتحرك صوبه ممسكة بالعلبة:

- تاكل بسبوسة؟؟

- تاكلي أنتِ جاتوه؟؟

نظرت له عفاف بعدم فهم لثواني:

- أنا مش عندي جاتوه، لو أنت هتعزمني أنا معنديش مشكلة.

- لا أنا مش هعزمك أنا هعزم الكل معانا يا فوفا، إيه رأيك؟؟ مهمة جديدة بخطوة جديدة.

ومجددًا لا شيء، هي بالفعل لم تدرك ما يقوله وكأن عقلها يتوقف حينما يتعلق الأمر بأسامة.

فركت هند قدمها بعدما نزعت حذائها تقول ساخرة حانقة من

ألاعيب أسامة مع تلك المسكينة الحمقاء كل مرة:

- هو أنت لو قولتلها نتجوز مباشرة كده هتولع؟! قولها عايز اتجوزك، ما أنت عارف البنت تفكيرها على قدها في الحوارات دي يا عو.

اتسعت عين عفاف بقوة وقد تفاجئت من كلمات هند:

- أنت بجد.. أنت بجد عايز تتجوزني يا عو؟!

ضحك أسامة على ملامحها:

- إيه يا عفاف ما أنا خطبك، محسساني ليه إن الموضوع مفاجئ، بعدين يا ستي أنا عايز اكتب الكتاب وتكوني مراتي، والمهمة الجاية يبقى نشوف موضوع الجواز ده.

تشنجت ملامح عفاف بحنق شديد:

- هو أنت هتنقطني، ما نتجوز ونخلص كل حاجة.

مال عليها أسامة قليلًا مع حفظ مسافة بينهما:

- قولنا ايه يا مدام عفاف؟؟

- قولنا لا إله إلا الله يا ضنايا، هنقول ايه يعني؟!

ابتسم يردد نفس جملته:

- مهمة جديدة بخطوة جديدة.

لوت فمها بحنق تضم علبة الحلوى لصدرها:

- طب هانت اهي كلها مهمتين ونتجوز، المهمة الجاية الحنة واللي

بعدها الفرح.

أطلق أسامة ضحكات عالية عليها، وهي ابتسمت له ونظرت له بحب بعيدًا عن تهكمها وسخريتها منه، ليغمز هو لها بحب وتقول:

- موافقة يا عو.

- وأنا مكنتش هقبل غير بموافقتك رد يا قلب العو.

تنحنحت هند تخرجهم من تلك الغيمة:

- راعوا أن فيه اتنين هنا برة العالم بتاعكم ده.

صحح لها جلال جملتها:

- لا لو سمحتِ اتكلمي عن نفسك، أنا خلاص هدخل العالم ده.

نظر له الجميع بتعجب ليبتسم جلال بسمة واسعة يقول:

- أصل أنا قررت أكمل نص ديني وهخطب البت تسنيم، عيلة طيبة ومحترمة وجدعة والله، وأنا بحبها.

ضحك أسامة عليه وعلى كلماته:

- ما هو لازم تحبها يا جلال، دي الوحيدة اللي بتحترمك، دي بتقولك يا سي جلال.

تجاهل جلال سخريته وهو يرفع رأسه:

- مش لوحدها يا أسامة غيرها كتير بيحترمني وبيحبني، بس هي اللي فازت بالجايزة الكبرى.

رددت هند بمزاح تضرب كتف جلال:

- قصدك بالخيبة الكبرى.

تعالت ضحكات أسامة وعلى الحنق ملامح جلال، لكن عناق أسامة له ومباركة الجميع رسمت على فمه بسمة واسعة وقد شعر بسعادته تزداد بوجوهم، وهند والتي كانت أول من يسخر منه في كل خطوة ابتسم له قائلة:

- بهزر معاك يا جلال، هي محظوظة عشان فازت بيك، طيب وابن حلال وعلى الله.

رفع جلال رأسه متكبرًا:

- اكيد هتموتي من الزعل عشان مش مكانها، لكن معلش خيرها في غيرها، وبكرة تلاقي واحد يقبل بعقدك وكلاكيعك.

اغتاظت منه هند تتحرك صوبه لتحطم رأسه لولا اختباؤه خلف أسامة:

- ياض أنا أكبر منك يا أهبل، بعدين مين قالك اساسًا إني مستنية راجل يدخل حياتي؟؟ مين ده اللي هيخليني اطيق اعيش مع ذكر غيرك أنت وأسامة، ده أنا مستحملاكم بالعافية.

ردد أسامة يحاول أبعاد جلال عنه:

- هعتبر ده مدح واقولك شكرًا يا هند.

- العفو يا عو.

سمع الجميع طرق الباب في تلك اللحظة وصوت أحد الرجال يقول:

- أسامة باشا، القائد طالبكم في مكتبه.

نظر أسامة للجميع وأشار لهم بلحاقه، وكذلك فعل الجميع، إذ تحركوا برؤوس مرفوعة وصدور منفوخة صوب مكتب القائد، وكأن لا أحد ينافسهم في تلك اللحظة، للمرة الثانية وعلى غير المتوقع يعودون بانتصار كبير، أثبت كفاءتهم..

طرق أسامة الباب ودخل المكتب ليلاقي الأربعة العديد من البسمات والمباركات بنجاح المهمة:

- مبارك يا شباب قدرتوا تثبتوا أنكم فعلا قدها وأن اللي بيتقال عنكم ده أي كلام.

أجابه أسامة مبتسمًا بتكبر وثقة:

- الحمدلله يا فندم، كل ده نتيجة تعب وجهد من كل عضو في الفريق.

هز القائد رأسه متفهمًا، ثم قال:

- لاحظت فعلًا يا أسامة وعشان كده، خد إجازة أنت وفريقك، وارتاحوا وخدوا نفسكم، وارجعوا عشان فيه مهمة جديدة مستنياكم.

اشتعلت أعين الجميع بالحماس وقد ارتسمت اللهفة أعلى وجوههم، وكالعادة تحدث أسامة:

- مهمة جديدة؟!

ألقى القائد ملف أمام أسامة يعود بظهره على مقعده:

- ورونا شطارتك يا عو أنت وفريقك.

أمسك أسامة الملف يقرأ الاسم المدون عليه، لتتسع بسمته وقال بثقة كبيرة:

- بص يا باشا، اعتبر المهمة جاتلك في شوال عليه فيونكة كمان.

وبهذه الكلمات أعلن أسامة انتهاء اللقاء، وخرج مع فريقه متحركين صوب مكتبهم وبمجرد أن دخلوا إليه، اغلق أسامة الباب خلفه يضع الملف على الطاولة التي تتوسط المكتب يقول ببسمة واسعة:

- ودلوقتي خلوني اقولكم... أعزائي سرب البط البلدي، وأعضاء فريق العو الاعزاء، فخري بكم بعد كل مهمة يزداد، وحنقي منكم يتضاعف، لكن الثابت الوحيد في الأمر هو حبي لكم..

توقف عن الحديث يرى نظرات الجميع السعيدة تحلق حوله ليضيف:

- خدوا نفسكم يا شباب ويا بنات وارتاحوا عشان نرجع في مهمة جديدة وألغاز جديدة.

غمز لعفاف مردفًا:

- وخطوة جديدة، خطوة بتقربنا كلنا من حلمنا..

تنفس بصوت مرتفع وختم حديثه:

- عندنا إجازة لأسبوع واحد، عايزكم تعيشوه بالطول والعرض والارتفاع كمان.

ومع انتهاء جملته كالعادة تعالت التهليلات وانتشرت البسمات أعلى وجوه الجميع، وهو تحرك ليشاركهم الجلسة التي توسطها ملف القضية القادمة، وعلبة البسبوسة الخاصة بعفاف والتي تشارك الجميع أكلها، وقد علت ضحكاتكم في المكتب يتلون على بعضهم البعض مخططات الإجازة القادمة، وأفكارهم حول هوية المهمة التي رفض أسامة الإفصاح عنها، كي يستمتع كلٌ بإجازته، ويستمتع هو مع "عفاف".

وها هم يا عزيزي "سرب من البط البلدي" كما يحب أسامة تسميتهم، فريق ربما تورط بهم في بداية عمله، لكنه يعلم يقينًا داخله، أنه لم ولن يجد مثله يومًا، حتى وإن عُرض عليه فريقٌ مكوّن من ثلاثة أشباه "لشارلوك هولمز "، هو اكتفى بسرب البط خاصته اصدقاء وعائلة وفريق لن يقبل بديلًا له يومًا.

***

وهذه كانت نهاية مهمة، وبداية آخري.

وللعو عودة.

تمت

بحمد الله